



روايات الحلال

الوادي الأخضر

جون شتاينبك

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة



روايات الهلال

Rewayat Al-Hilal

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

المعد ٢٣٧ - سبتمبر ١٩٦٨ - جمادى الآخرة ١٣٨٨

No. 237 - Septembre 1968

بيانات ادارية

ثمن العدد : في الجمهورية العربية المتحدة
١٠٠ مليم - عن الكميات المرسلة بالطائرة -
في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشاً ، في الأردن
والعراق ١٣٠ فلساً

قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ عدداً »
في الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد
البريد العربي والافريقي ١٠٠ قرش صاغ -
في سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات او
٤٠ شلناً والقيمة تسدد مقدماً للسنين
الاشتراكات بدار الهلال : في الجمهورية
العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية -
في الخارج بتحويل او بشيك مصرفي قابل
الصرف في « ج.ع.م » - والاسعار الموضحة
أعلاه بالبريد العادي - وتضاف رسوم
البريد الجوي والسجل على الاسعار المحددة
عند الطلب

رئيس التحرير
كامل زهيري

سعر البيع للجمهور

البحرين : ٢٠٠ فلس بحريني ، الدوحة :
٢٠٠ نيابيزة ، عدن : ٢٨٠ سنتاً ، السودان :
١١٠ مليماً ، ليبيا : ١٤٠ مليماً ، الجزائر :
٢٢٠ سنتيماً ، اثيوبيا : ١٢٠ سنتاً

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد
عز العرب - القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الغلاف بريشة الفنان جمال كامل



روايات الله

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

الروادى الأفقر



چون شتاینبک



دار الحلال

الفصل الأول

عندما يزول سوء الطالع

عندما تمت بنايات ارسالية رهبان الكارملو بمدينة آلتا بولاية كاليفورنيا فى عام ١٧٧٦ ، هربت جماعة من الهنود المنتصرين يبلغ عددها عشرين هنديا وانطلقت - تاركة وراءها أكواخها وفيها الجديد ، فى سكون الليل ، حتى اذا تبلج الفجر لم يكن لهم أثر فى المنطقة كلها . ورأى الرهبان ان ما حدث يعتبر قدوة سيئة لباقي الهنود المنتصرين ، كما أنه سيعطل العمل فى القمائن التى تصنع منها قوالب الطوب اللازمة للبناء

وبعد أن عقد مجلس للمشاورة فى هذا الامر بين السلطات الدينية والسلطات المدنية ، تقدم ضابط اسباني مع سرية من الشرطة الخيالة ، للبحث عن الهنود الأبقين والعودة بهم الى حظيرة الدين وقمائن صنع الطوب

وقامت الحملة الصغيرة برحلة شاقة عبر وادى الكارملو ، ثم الى الجبال الواقعة وراءها ؟ وقد ازدادت المشقة على جنود الحملة لان الأبقين كانوا بارعين الى حد كبير فى اختفاء آثار فرارهم حتى عن الأعين الخبيرة لقصاصى الاثر

وبعد أسبوع عثر جنود الحملة على الهنود الأبقين مستفرقين فى سكرة الخمر بعد أن أسرفوا فى شربها . . وكانوا راquدين على ضفة جدول صغير فى خور جبالى مكسو بنبات السرطس وأمسك الجنود بالهنود الأثمين وقيدوهم فى سلسلة طويلة

ومضوا بهم عائدين عبر جبال الكارملو ، ليتيحوا لهم فرصة التوبة
وفرصة العودة الى العمل فى قمائن الطوب

وفى ساعة متأخرة من أصيل اليوم التالى ، لمح الضابط الشاب
غزالا صغيرا يندفع مختفيا وراء جوف جبلى ، فترك رجاله وانطلق
وراءه يبغي اقتناصه . وانحدر بجواده فى سرعة بالغة على جانب
الجبلى ، وتعرثر الجواد وامتدت أصابع النبات الشوكى الى وجه
الضابط الشاب ، ولكنه استطاع ان يدفع جواده وراء الغزال
الصغير . وبعد لحظات وصل الى قمة الجرف الجبلى . وهناك
توقف مذهولا لما رأى .. لقد رأى واديا طويلا مكسو القاع بالعشب
النضير والاشجار الباسقة والصفاف الخضر التى يمر بها نهر
صغير . وكان ثمة قطيع من الغزلان قد اجتمع للشرب من النهر
ووقف الضابط الغليظ القلب الذى طالما ألهب ظهور الاسرى
بالسياط ، وقف أمام هذا المنظر الرائع مذهولا .. وأخيرا ترجل عن
جواده ، ورفع خوذته عن رأسه ، ثم هتف :

— يا اله السماء .. هذه هى جنة السماء التى قادنى القدر اليها
ومع مرور الاجيال ، أصبح أفراد سلالته ، نساء ورجالا ، فى حكم
الجنس الابيض . ولكن الاسم الذى أطلق على الوادى ، وعلى التلال
الخضراء المحيطة به ، ظل كما هو .. جنة السماء !

وبعد وفاة الضابط الشاب ، الذى تزوج احدى الهنديات ، تقدمت
بعض الاسر الهندية وبعض المهاجرين ، الى الوادى ، فاستعمروه ،
واختلطت دماؤهم ، ولم يعد أحد يعرف من سلالاتهم . من هو
الهندي ومن هو الابيض

وبلغ عدد الاسر ، بعد مائة عام ، نحو عشرين أسرة لكل منها بيت
ومزرعة صغيرة ، وفى وسط الوادى ، أقيم مكتب للبريد ، ومتجر
عام ، وعلى مشارفه ، بجوار الجدول المتفرع من النهر ، أقيمت
المدرسة

وعاشت هذه الاسر فى رخاء وسلام .. فقد كان الوادى خصبا
والعمل فيه سهلا ، وكانت ثمار حدائقه أعذب الثمار فى الولاية كلها
ولكن مزرعة من مزارع جنة السماء بقيت فى رأى سكان الوادى ،

مزرعة منحوسة سيئة الطالع .. هي المزرعة المسماة مزرعة باتل، وكان الاطفال يعتقدون انها « مسكونة » بالاشباح والعفاريت . وذلك رغم انها خصبة الارض ، سهلة الرى ، ولم يحاول أحد من سكان الوادى أن يقيم فى البيت الكبير الخاص بها ، ولا أن يزرع جانباً من أراضيها . وهكذا بقى البيت الكبير مهجوراً موحشاً ، والحديقة المحيطة به مهملة ، تنمو فيها النباتات البرية ، والاشجار الفاتحة التى ترسل تحتها ظلالاً أشد قتامة

وظلت مزرعة باتل خمسة أعوام وهى على هذه الحال من الوحشة والعزلة . وكانت الاعشاب البرية ، التى لم تعد تخشى منجل الحصاد ، تنتهز هذه الفرصة لتنمو بضراوة وسرعة حتى أصبحت كأنها أشجار صغيرة . اماحديقة الفاكهة فقد كانت النباتات المتسلقة تلتف حول جذوع الاشجار ، وتمتد هنا وهناك حتى أصبحت الحديقة كلها شبكة متداخلة من النباتات والشجر . أما الثمار فكانت تزداد عدداً .. وتضيق حجماً

وكان البيت نفسه مربعا ، قوى البنيان ، مكونا من طابقين ، وكان جميلاً ، رائعا عندما كان يحتفظ بنضارته وطلائه الابيض ، اما بعد أن غدا مهجوراً موحشاً .. فقد تساقط طلاؤه ، وانتشرت الاعشاب حول جدرانها ، وكسر الاطفال كل زجاج نوافذه ، كما حملوا من متاعه كل ما يمكن حمله ، كما أنهم لم ينسوا أن يردموا بثره بالحجارة والطين ، وفيما كان بعضهم يدخل الطابق خلسة فى مخزن المحاصيل ، سقط عود من الثقب على أوراق شجرة جافة فاشتعلت النيران وأتت على المخزن كله . وقال سكان الوادى أن بعض الدخلاء العابرين هم الذين تسببوا فى الحريق

وكانت المزرعة نفسها تقع فى منتصف الوادى ، تحف بها على الجانبين أحسن وأزهر مزرعتين فى الوادى بأكمله . ومع ذلك لم يحاول أحد أن يزرع جانباً منها ، لان سكان الوادى كانوا يعتبرونها مثابة للشر وسوء الطالع بعد الاحداث الخفية التى وقعت لأصحابها جيلاً بعد جيل

لقد عاش فيها جيلان من عائلة باتل .. ففى عام ١٨٦٣ اقبل جورج باتل من الغرب .. من نيويورك ، وكان شابا عند وصوله ، وكانت أمه قد زودته بالمال اللازم لشراء المزرعة وبناء البيت . فلما فرغ من هذه المهمة أرسل يستدعيها لتعيش معه ، ولكنها ماتت فى الطريق .. قبل أن تصل

وشرع جورج يبحث عن زوجة له ، وقد عثر على هذه الزوجة فى بلدة ساليناس .. انها العذراء العانس ميرتل كامبيرون ، فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، وتمتلك ثروة صغيرة ، وتعرض بين الحين والآخر لنوبات عصبية ، ولم يهتم جورج بهذه النوبات التى قيل له ان سببها سوء الهضم ، كما أنه كان يدرك أن الانسان لا يستطيع أن يحصل على كل شيء

وأصبحت ميرتل زوجته ، وحملت له ابنا ، وبعد أن وضعته ، حاولت أكثر من مرة ، فى نوباتها العصبية ، أن تحرق البيت ، وأخيرا أودعت مصحة ليبمان فى مدينة سان جوزيه ، وبقيت فيها الى أن وافاها الاجل

ومنذ ذلك الحين والمنزل الكبير يخضع لاشراف هذا النوع من مديرات البيوت ، ذوات المزاج الحاد والطبع السيئ ، اللاتى ينشرن فى الصحف اعلانات هذا نصها « أرملة فى الخامسة والاربعين ، تطلب عملا كمديرة بيت .. تحسن الطهو ورعاية الاولاد »

وتعاقبت المديرات على البيت ، الواحدة بعد الاخرى . وكانت كل واحدة تبدو فى أول الامر رقيقة هادئة ، حتى اذا علمت بمأساة ميرتل ، ثارت وشعرت أنها خدعت ، وان المكان ملئ بالاشباح الشريرة ، وهكذا ظل الحال على هذا المنوال حتى بلغ جورج الخمسين من عمره ، وحتى انحنت قامته من فرط العمل فى الارض ، وغامت عيناه من فرط الحزن والاكتئاب . ولكن مزرعته ظلت رائعة ، وثمارها أعذب من كل ثمار فى الوادى ، كما ظل البيت جميلا نظيفا مرتبا ، وحديقته يانعة مشرقة بالزهور والرياحين ، ولم يكن الطابق الاعلى قد سكن اطلاقا . وكان جورج ينتظر أن يسكنه مع زوجة

ثانية .. ولكن هذه الزوجة لم تصل أبدا .. ويبدو أن اهتمامه
بالبيت والمزرعة ، وانتظاره للزوجة الثانية ، جعله لا يهتم كثيرا
بأبنه جون الذي كان ينمو كالنبات البري .. بلا رعاية أو تهذيب

واتجه جون وهو في العشرين من عمره الى الدين .. وأنطلق في
قافلة يجوب البلاد مبشرا ومنذرا .. ولما مات أبوه في الخامسة
والستين ، عاد جون ليستولى على المزرعة والبيت ، وكان قد ورث
عن أمه النوبات العصبية ، ولكن أحدا لا يعرف من أين ورث التعصب
لمحاربة الشيطان في كل مكان ، وكان يمضى من مكان الى آخر يلعن
الشياطين ، ويخطب في الجماهير طالبا أن يعينوه على هذه الحرب
الشیطانية . وعلى هذا النحو ترك المزرعة لتفقد مرتعا للأعشاب
البرية ، والبيت ليبدو موحشا مهجورا .. ورغم هذا كله ، فقد
ازدادت الشياطين قوة واستهترا !

وكان جون يكسو ملابسه - حماية لنفسه - بصلبان صفيرة
مشغولة بالخيط الأبيض ، وبهذا الدرع ، انطلق في معركته ضد
الشياطين وأشباح الظلام

وفي عتمة الفجر ، كان جون يخرج من بيته المهمل ويجوس خلال
المزرعة البائرة مسلحا بهراوة ضخمة ، وكلما وجد خميعة من الشجر
أو مجموعة من الشجيرات أو عقودا من الأعشاب ، اندفع بالهراوة
يضرب يمينا ويسارا وهو يصيح بالعنات الطاردة للشياطين .
وكان في ساعات الليل يزحف على اجتماعات الشياطين حول
الشجيرات فيضربها بهراوته .. أما في النهار ، فكان يستغرق في
النوم مطمئنا الى أن الشياطين لا تظهر في الضوء

وفي ذات يوم ، عند شفق الغروب ، زحف جون بهراوته الى
خميعة سوسن بالحديقة ، وكان يعرف أن هذه الخميعة مثابة لاجتماع
الشياطين والمردة كل ليلة ، ولما اقترب منها مسترقا الخطى ، هجم
عليها فجأة وهو يضرب عيدانها المتشابكة بهراوته ، صائحا بالعنات
الطاردة للشياطين .. وفجأة برزت أمامه أفعى ضخمة من ذات
الاجراس ، ورفعت هامتها ورأسها المفلطح . وسقطت الهراوة من

يد جون ، وتسمر في مكانه ، لان فحيح الافعى كان رهيبا يماز
القلب بالفزع ، ويشل العضلات عن الحركة

ولكنه سرعان ما تما لك نفسه ، فركع يصلى متمتما .. ثم وقف
هائفا :

- هذه هى الافعى الملعونة التى اخرجت آدم وحواء من الجنة .
وانقض عليها يريد خنقها بأصابعه المعقوفة .. ولكن الافعى لدغته
ثلاث مرات فى عنقه المكشوف العارى من الصلبان الحامية ، وسقط
جون على الارض يتلوى ثم يموت فى لحظات
ولم يعثر عليه جيرانه الا عندما راوا الغربان تحوم فى المنطقة
بكثرة تشير علامات الاستفهام

وظلت المزرعة مهجورة عشرة أعوام . وكان الاطفال يقولون ان
البيت مسكون بالاشباح ، ومن ثم كانوا يقومون برحلات ليلية اليه
ليخيفوا انفسهم

وكان البيت والمزرعة قد آل كل منهما الى قريب لجون باتل
يقيم فى ولاية بعيدة . وقد تنهد هذا القريب فى ارتياح عندما
أشترتها منه أسرة ماسترو فيل فى عام ١٩٢١ . وأقبلت الاسرة
للاقامة فى احدى غرف البيت ، ولزراعة الارض بعد تطهيرها من
الاعشاب البرية

وكانت الاسرة مكونة من زوجين عجوزين لا يعرفان كلمة
انجليزية واحدة ، ومن ابن شاب قوى الجسم وسيم الوجه ، كان
يقوم بمهمة « الترجمان » بين والديه وسكان الوادى ، على أن لغته
الانجليزية لم تكن تتيح له الحديث الا فى أضيق نطاق ..

وفى المتجر العام كان الاهالى يسألونه برفق دون أن يظفروا
منه بشئ ، كان المستر ألين صاحب المتجر يسأله :

- كنا نظن أن بيتكم مسكون بالاشباح .. فهل هذا صحيح :
وكان الشاب يرد ببساطة :

- لا ..

- ستكون المزرعة جيدة جدا بعد أن تقتلعوا منها الاعشاب
البرية

وهنا يستدير الشاب وينصرف

ويقول المستر أللين لبعض عملائه :

- ان فى هذه المزرعة والبيت شيئا • فان كل الذين يعيشون
فيهما يكرهون الحديث •

وكان الزوجان العجوزان لا يشاهدان الا قليلا جدا ، أما الشاب
فكان يشاهد وهو يعمل فى المزرعة من بكر الصبح الى ما بعد
الغروب ، وكانت الاسرة كلها تقيم فى غرفة المطبخ بالجانب الخلفى
من البيت • أما بقية البيت فقد ظل على ما كان عليه •• موحشا
•• متداعيا •• لا أثر فيه لحياة •

وظل الشاب يعمل جاهدا فى المزرعة لمدة سنتين حتى أينعت
وازدهرت وعادت الى روعتها

وفى ذات صباح كان بات هامبرت - أحد سكان الوادى -
ينطلق بسيارته العتيقة الى المتجر ، وهناك قال للمستر أللين :

- اننى لم أر دخانا يتصاعد من مدخنة ال ماستروفيك طيلة
هذا الصباح •• كما أنى لم أر ذلك الشاب فى المزرعة •• يبدو لى
أن المكان عاد مهجورا ••

وظل الجيران يرقبون مدخنة آل ماستروفيك ثلاثة أيام •• وكلما
مر يوم دون أن يتصاعد منها دخان ، ازدادوا شعورا بالخوف
والرهبة • وفى اليوم الرابع تقدم بات هامبرت وجون هوايتسيد
وأللين نحو البيت • وراهم الهدوء المخيم عليه • وطرق هوايتسيد
على باب المطبخ الذى اعتادت الاسرة الاقامة فيه ، ولما لم يرد عليه
أحد ، حول المقبض ، وفتح الباب •• ودخل مع زميله

كان المطبخ نظيفا ، والمائدة معدة للافطار ، والاطباق مليئة
بالعصيد والبيض المشوى وشرائح الخبز ، وكان ثمة طبقة رقيقة
من العفن فوق الطعام كله • وصاح بات هامبرت قائلا :

- هل هنا أحد ؟

وفتشوا البيت المهجور بدقة دون أن يعثروا فيه على أحد .
وكان الواضح أن الاسرة تركت البيت فى سرعة وهى تستعد
لتناول الافطار ، ولم يعرف أحد لماذا تركت الاسرة البيت .
أو الى أين ذهبت .

وعادت النباتات البرية الى المزرعة تحتلها من جديد . وعاد
البيت الى وحشته وعزلته . وبيع الاثنان - نظير الضرائب المتأخرة
عليهما - الى احدى الشركات . وراح الناس فى الوادى يقولون
بعضهم لبعض :

- ان أرض المزرعة جيدة وخصبة . ولكننى لا أشتريها رلو
بدولار واحد



وفى عام ١٩٢١ شعر سكان الوادى بالرهبة حين علموا أن مزرعة
باتل سوف تسكن من جديد . وكان أول من حمل هذا الخبر الى
المتجر العام بات هامبرت الذى شاهد عددا من سيارات النقل
أمام البيت المهجور

ونشر اللين ، صاحب المتجر ، الخبر بسرعة بين سكان الوادى ،
كما راح يتخيل كل شىء عن السكان الجدد ، ثم يحول الخيال الى
حقائق يدلى بها لعملائه كلما توافدوا عليه :

- يقولون ان ذلك الشخص الذى اشترى مزرعة باتل من
الاشخاص الذين يبحثون عن الاماكن « المسكونة » لانه من هواة
الاشباح والعفاريت !

وكان المشتري الجديد لمزرعة باتل هو برت مونرو الذى تدار
حوله عشرات الاقاصيص فى الوادى الاخضر . وكان من جانبه
يعلم أن الناس فى الوادى يختلسون النظر اليه ويقيسونه ويزنونه
بعقولهم وآرائهم ويتابعون كل حركة يقوم بها ، ويستوعبون فى
ذاكرتهم نوع ملابسه ، ولون شعره وعينييه وطريقة حديثه
وابتسامته . كل هذا يقومون به وهم يتظاهرون أمام الوافد
الجديد أنهم لا يشعرون به أو لا يرونه !

وبعد أن اشترى برت المزرعة ، شرع من فوره - بمعونة عدد كبير من العمال - فى اصلاح البيت الكبير والحديقة الواسعة المحيطة به . وفى نهاية عشرين يوما كان البيت الكبير قد عاد الى روائه ومهابته وطلائه الجديد ، وعاد الزجاج الى النوافذ الجديدة ، وامتلاء من الداخل بالمفروشات والامتعة الجديدة . ورفع سقفه القديم ووضع له سقف جديد على الطراز الحديث

أما الحديقة فقد أعيد حراثتها ورفعت الاعشاب البرية منها ، وقامت أشجارها وزرعت من جديد بالازهار والاشجار المثمرة حتى عادت جنة فيحاء

وبعد أن تم اعداد هذا كله ، أقبلت المسز منرو والابناء الثلاثة . وكانت المسز منرو سيدة ممثلة الجسم تضع على عينيها نظارة بلا اطار ، تعلقها بشريط مشدود الى عنقها . وكانت ربة بيت ممتازة ، لا تهدأ ولا تستقر حتى تطمئن الى أن كل قطعة أثاث فى مكانها المناسب

وكانت ابنتها ماى غادة حسناء مستديرة الوجنت ناضجة الشفاه ، ممشوقة القوام ، متوسطة الذكاء ، فى عينيها ثغرات تنم عن المودة والحياء . وكانت فى مجموعها صورة مصغرة لاماها . أى أنها لن تزيد فى يوم ما على أن تكون زوجة وفيه صابرة ، وربة بيت ممتازة

وزينت ماى غرفتها بصور صديقاتها من مدينة مونتريرى التى نشأت فيها ، وحشرت بين الاطار وزجاج المرأة برامج الموسيقى الراقصة ، وأودعت مجمع صورها ودفتر مذكراتها فى درج خزانة صغيرة بجوار سريرها . وكانت ماى تسجل فى مذكراتها ، التى لا يطلع عليها أحد - حفلات الرقص التى شاهدها ، والزيارات التى قامت بها ، والصدقات البريئة التى عقدتها مع الشبان فى مثل سنها ، وكانت قد بلغت التاسعة عشرة من عمرها حين بدأت حياتها فى الوادى الاخضر ، وقد قامت بنفسها بشراء الستائر الزاهية الالوان لغرفتها ، كما لم تنس أن تشتري مجموعة جديدة

من الفساتين لعروستها ، التي تبلغ نصف حجمها ، والتي كانت
تحرص ماى على أن تضع فى فمها سيجارة من القطن دلالة على
أن عروستها فتاة عصرية جدا !

أما آمالها فى الحياة فكانت تتركز فى كلمة واحدة هى «الزواج» !

وكان الابن الثانى جيمى مونرو .. شاب فى السابعة عشرة .
تخرج فى المدرسة الثانوية ، واستعد للمرحلة الجامعية ، وكانت
له آراؤه الخاصة فى الحياة والاحياء .. ولهذا كنت تراه يجلس
أمام والديه فى سكون واكتئاب لانه مقتنع تماما بأنهما لن يفهما
آراءه ومشاعره . وكانت له أهدافه الخاصة بطبيعة الحال ..
وكانت هذه الاهداف تتركز فى « العلم » .. علم الراديو وعلم
الميكانيكا وعلم الحفريات .. أى نوع من العلم الذى يطور حياة
الانسان . وكان كثيرا ما يتخيل نفسه مشغولا بحفريات أثرية فى
جمهورية بيرو مثلا ، حيث يعثر على الاوانى الذهبية والتحف
الاثرية . وفى أحيان أخرى يتخيل نفسه سجين معمل من معامل
البحوث لا يخرج منه بعد سنوات الا بطراز جديد من الطائرات .
مثلا ..

ولم يكن عجيبا أن تغدو غرفة جيمى فى البيت الجديد مثابة
لالوان وفنون من الادوات الكهربائية والميكانيكية والاسلاك والاجهزة
المختلفة .. وكان ثمة صندوق من الحديد فى جانب الغرفة
لا يفتحه الا اذا أغلق الباب من الداخل ، وكان الصندوق الحديدى
يحتوى على قطعة ديناميت ، ومسدس عتيق ، وعلبة سجائر من نوع
نادر يسمى ميلاكرينو ، ومدية على شكل خنجر ، وقنينة من خمر
الخوج ، وأربع رزم من رسائل تلقاها من أربع فتيات ، وست
عشرة قطعة من أحمر الشفاه أخذها تذكارا من ست عشرة فتاة
تعرف بهن فى حفلات الرقص المختلفة ، وعدد من الازهار الجففة
ومناديل اليد ، والازرار

وكان جيمى فى أثناء دراسته الثانوية ، لا يتردد فى الخوض مع
زملائه كل لون جديد عليهم من ألوان الحياة .. وهذا اعتبر

نفسه ، حين وفد للاقامة فى الوادى الاخضر ، شابا مجربا ، له ماض طويل ، ومغامرات حب لا حصر لها ، مما جعله فى فترة قصيرة موضع اعجاب فتيات الوادى ، وفاتن العذارى وكان فى الواقع وسيما ، متناسق الجسم ، أسود الشعر والعينين

أما مانفريد ، الابن الاصغر ، فكان صبيا فى السابعة من عمره ، جاد السميت ، ولكنه كان مصابا بمرض غدائى « اختلال ، بعض الغدد » يجعله معرضا بين الحين والآخر لنوبات عصبية .. وكانت بعض هذه النوبات من الشدة بحيث تجعله يضرب رأسه فى الجدار - أى جدار - حتى تسيل الدماء منه

وكان برت مونرو - رب الاسرة - قد جاء للاقامة فى الوادى الاخضر بعد أن تعب من الصراع ضد هذه القوى الخفية التى تلاحقه بالهزيمة فى الحياة دائما . لقد قام بمشروعات كثيرة ، وكان كل مشروع ينتهى بالفشل لأسباب خارجة عن ارادته . وكان فى النهاية يرى أن هناك قوى شريرة تحاربه خفية وتضع العراقيل أمام مشروعاته لا سيما حين تبشر بالنجاح .

ورغم أن برت لم يكن قد تجاوز الخامسة والخمسين من عمره ، الا انه قرر أن يستريح من عناء الكفاح بعد أن تأكد لديه أن هناك لعنة تطارده

منذ أعوام بعيدة أنشأ محطة بنزين على مشارف احدى المدن . ولما نجح المشروع ، انشأت الولاية طريقا عاما بعيدا عن محطته .. ولم يلبث المشروع أن باء بالفشل

وباع المحطة وافتتح متجرًا عاما .. وحالفه النجاح .. وسدد ديونه ، وبدأ يدخر فى البنك مالا .. ولكن لم تلبث أن أقامت احدى الشركات سلسلة من المتاجر العامة فى المنطقة ، فكسدت تجارتها وأطبق عليه الفشل مرة أخرى

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، أخذ يتجر فى محصول الفول ، وربحت تجارتها الى حد فاق كل خيال .. واتسعت أعماله .. وتعاقد على شراء آلاف من أطنان الفول لتوريدها للجيش .. وفجأة

عقدت الهدنة وانتهت حاجة الجيش الى الفول . وهبطت اسعاره .
وأفلس تماما ..

وأدرك في هذه المرة أن هناك لعنة سوداء تطارده ، فقبع في داره
في مدينة مونتريري ، وراح يشغل وقته بزراعة حديقته .. ومع
مرور الوقت وجد أن الزراعة عمل يهدىء الاعصاب ، واحتمال
الفشل فيه قليل .. وهكذا قرر أن أن يشتري مزرعة صغيرة يقضي
فيها بقية حياته مستريحاً

وهكذا اشترى مزرعة بائِل عندما عرضتها الشركة للبيع بثمان
بخس . وشعر برت بالراحة النفسية في اللحظة التي تم فيها عقد
الشراء . لقد أحس أن اللعنة قد رحلت عنه ، وأن سوء الطالع قد
ابتعد الى غير رجعة ، وما أن مضى شهر واحد حتى استقام عوده ،
وزالت عن وجهه سمات الاكتئاب والخوف من المجهول ، وازدادت
حماسته للزراعة ، وراح يقرأ عشرات الكتب عن الفلاحين والبساتين،
واستأجر مساعدا للعمل معه من الصباح الى المساء ، وكان يجد أن
كل يوم حياة جديدة ، وأن كل حبة نبتت في الارض تعتبر أملا
جديدا . وامتلأ قلبه بالسعادة بعد أن استرد ثقته بنفسه ، وراح
يعقد أواصر الصداقة مع الاهالى في الوادى ، ويثبت مكانته بينهم
يوما بعد يوم

ولكن هذا كله لم يأت عفوا أو بسهولة .. فقد كان المعروف ان
السكان في المناطق النائية لا يتقبلون الغرباء بينهم بسرعة ، ومن ثم
بدأ سكان الوادى يراقبون برت مونرو في أول الامر بشعور عدائى .
اهم يعرفون ان المزرعة « مسكونة » بالاشباح والعفاريت . هكذا
كانوا يرونها دائما حتى الذين اعتادوا أن يسخروا من هذه
المعتقدات الخرافية .. ولكن .. ها هو ذا رجل غريب يفد على
الوادى ليثبت انهم كانوا جميعا على خطأ في رأيهم ! وأكثر من هذا
فقد غير وجه الوادى بأن أزال مزرعة كلها الاعشاب والنباتات البرية،
وجعل مكانها مزرعة نموذجية وافرة الثمار . وكان الناس قد
اعتادوا على رؤية المزرعة القديمة ، ومن ثم شعروا - باحساسهم

الباطني ، بالنفور من هذا التغير الذي طرأ عليها .

ولكن برت استطاع ، بما يشبه المعجزة ، أن يزيل من نفوسهم هذا الشعور الباطني بالعداء ، وأن يصبح في خلال ثلاثة أشهر واحدا منهم ، فكان يستعير منهم الأدوات الزراعية ويعيرهم اياها . وفي نهاية الشهر الثالث انتخب عضوا في مجلس ادارة المدرسة ، وكانت سعادة برت النامية من شعوره بالتححرر من اللعنة ، تجعله بشوش دائما ، لطيف المعشر ، هادئ الاعصاب ، فاحبه الاهالي ، واخذوا يتحدثون عنه بالخير في مجالسهم ، وفوق هذا كله كان بطبيعته رجلا شقيقا ، يسعه ان يؤدي الخدمات لجيرانه ، ولا يتردد في طلب الخدمات من الاصدقاء

وقد شرح ظروفه امام الاهالي في المتجر العام . وحمدوا له صراحته وأمانته في الحديث ، وقد حدث هذا يوم ألقى عليه اللين ، صاحب المتجر العام السؤال التقليدي :

— كنا دائما نظن أن أشياء كثيرة تحدث في المزرعة والبيت ليلا . .
فهل رأيت شبحا أو عقريتا في أثناء اقامتك فيها ؟

فضحك برت وقال :

— عندما تنظف البيت من بقايا الطعام ، فإن الجرذان تهجره . .
وهكذا الامر معي . . فقد رفعت منه كل ما كان فيه ، ووضعت
اثاثا جديدة . . ولا شك أن العفاريت ذهبت مع الاثاث القديمة

وقال اللين معترفا :

— الواقع انك جعلت من البيت مكانا رائعا . . ليس مثله بيت في
الوادي كله

ثم اردف قائلا وهو يتلفت الى عملائه :

— وكذلك المزرعة . . لقد أصبحت أجمل مزارع الوادي
بلا جدال . ان أرضها خصبة قوية

وفجأة زوى برت ما بين حاجبيه حين طرات بذهنه فكرة جديدة . .
ومن ثم قال :

— لقد حالقني سوء الطالع سنوات عديدة .

ولما رأى الجميع ينظرون اليه في تساؤل ، قال مستطردا :
- لقد قمت بأعمال ومشروعات كثيرة انتهت كلها اليك بالفشل ،
ولما جئت الى هنا ، كنت مؤمنا بأن هناك لعنة تلاحقني
ثم أرسل ضحكة نبعت من الفكرة التي طرات على ذهنه ، وقال :
- وماذا فعلت هنا ؟ ان أول شيء فعلته اشتريت مزرعة حلت
عليها لعنة دائمة . وقد خطر ببالي الان انه ربما اشتبكت اللعنة
التي ظلت تطاردني مع اللعنة التي تطارد هذه المزرعة ، ثم سقطت
اللعتان صريعتين في النهاية
وضج الحاضرون بالضحك العريض . وضرب اللين كفه بقبضة
يده وقال ضاحكا :

- انها فكاهة حلوة .. ولكن اليك واحدة أحلى منها .. لعل
لعتك تزوجت لعنة المزرعة ، وذهبتا لتعيشا كأفعى وثعبان في
جحر ، ولعل أن تخرج عنهما لعنات صغيرات وليدات تنتشر في
أنحاء الوادي !

ومرة أخرى ضج الحاضرون بالضحك العريض ، وقرر اللين أن
يسجل هذه الفكاهة لانها ، في رأيه ، تشبه ما يقال في السينما !
ولكنه لم يكن يدرى في تلك اللحظات أن الامر سيكون بالعكس ،
وان اللعنة التي رحلت عن برت مونرو قررت أن تأخذ معها اللعنات
انصغرة التي كانت متناثرة هنا وهناك في أنحاء الوادي الاخضر

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الابتسامة

حادثة غرام

كان ادوارد ويكس يقيم في بيت صغير على الطريق العام في مشارف الوادي الاخضر ، وكان وراء البيت بستان للخوخ وحديقة خضراوات . وفيما كان ادوارد يعني ببستان الخوخ ، كانت زوجته وابنته الجميلة تهتمان بأمر الحديقة وتحملان ثمارها اليانعة الى السوق في المدينة مرة كل اسبوع لتحصلا على أعلى الاسعار

وكان لادوارد وجه عريض ملوح ، وعينان صغيرتان باردتان خاليتان من الاهداب ، وكان معروفا في أنحاء الوادي بأنه أكثر الرجال مراوغة وغموضا وبراعة في عقد الصفقات ، ولم يكن يتورع عن الخداع والاحتيال في عقده لصفقات بيع الجياد . وبسبب براعته هذه اكتسب احترام جيرانه من سكان الوادي ، ولكنه ، وهذا هو العجيب في الامر ، لم يستطع جمع ثروة من المال ، الا انه كان يحب أن يتظاهر أمام الجميع بأنه يستثمر ثروة ضخمة في الاسهم والسندات والاوراق المالية بوجه عام . وكان في اجتماعات مجلس ادارة المدرسة يسأل زملاءه عن رأيهم في مختلف الاسهم والسندات المعروضة للبيع في الاسواق المالية ، وبهذا استطاع أن يترك في نفوسهم اليقين بأنه موفور الثراء فعلا . . ولم يلبث أن أطلق عليه سكان الوادي اسم « شارك » أي نمر البحر

وكان بعضهم يقول للبعض الآخر :

- نعم . . أعتقد أن ثروة شارك لا تقل عن عشرين ألف دولار وربما أكثر . . انه رجل بارع حقا !

أما الحقيقة فان شارك لم يكن قد رأى في حياته مقدارا من المال يزيد على خمسمائة دولار

وكان شارك يستمد سعادته الكاملة من اعتقاد الناس بشرائه الواسع . بل لقد بلغ من استمتاعه بهذا الثراء الوهمي ، انه بدأ يؤمن حقا انه ثرى .. وقد قدر لنفسه ثروته الوهمية بمبلغ خمسين ألف دولار ، ثم خصص دفتر حسابات ضخما أخذ يحسب فيه أرباحه من استثمار هذه الثروة الضخمة في مختلف أوجه الاستثمار . وكان هذا العمل هو أول شيء يملأ نفسه بالبهجة ويجعله يشعر بالسعادة لأول مرة في حياته

وتكونت شركة لاستخراج البترول في مدينة ساليانس ، ولما سمع شارك بهذا ، ذهب الى مزرعة جون هوايتسيد ليتحدث معه في قيمة أسهم هذه الشركة من الناحية المالية . وقد قال :

— اننى أفكر في مكانة هذه الشركة

وقال له جون هوايتسيد :

— ان البحوث الجيولوجية تبشر بالخير . وكثيرا ما سمعت بأن هناك بترولاً فى هذه المنطقة

ثم سكت برهة قبل أن يردف قائلا :

— ولكننى أنصحك بالأ تغامر بشراء عدد كبير من الأسهم على كل حال .. ان الاحتياط واجب

ولوى شارك شفته السفلى ، ووضع ابهاميه فى حمالة بنطلونه مفكرا ، ثم قال :

— اننى أدير الامر فى ذهنى .. ويبدو أن هذه الشركة لابأس بها ، ولدى نحو عشرة آلاف دولار لا تأتى بربح معقول .. وقد جئت اليك لاستشيرك فى استثمار هذا المبلغ البسيط فى الشركة الجديدة

ولما عاد شارك الى بيته ، أخرج دفتر حساباته الضخم من مخبئه وسحب من ثروته الوهمية مبلغ عشرة آلاف دولار وسجل شراءه لآلاف سهم من أسهم الشركة الجديدة ، ثم راح منذ ذلك اليوم يرقب اسعار اسهم الشركة فى بورصة الأوراق المالية . وكلما ازداد سعر السهم ، قام بعملية حسابية وسجل مجموع الربح وأضافه الى رصيده من الثروة .. واذا انخفض السعر يوما ، قام بنفس العملية

وسحب مجموع الخسارة من الرصيد العام ٠٠ وهكذا كان يضيف الارباح أو يخصم الخسائر من ثروته الوهمية وكأنها حقيقة لا جدال فيها

وحدث ذات يوم أن ارتفعت أسعار السندات « الوهمية » التي يمتلكها شارك « بالخيال » ارتفاعا كبيرا ، ف شعر بالسعادة البالغة وذهب الى متجر الوادى الاخضر واشترى ساعة صالون قائمة على عمودين من الرخام الاسود فوق قاعدة من الرخام الاخضر ، احتفالا بهذه الارباح الطارئة . وتبادل الجالسون في المتجر النظرات والهمسات قائلين بعضهم لبعض أن شارك يزداد ثراء

وبعد اسبوع هبطت أسعار أسهم شركة البترول ، واختفت الشركة من السوق . وبمجرد أن علم شارك بهذه الأنباء ، أسرع الى دفتر حساباته وسجل فيه أنه باع كل أسهمه في الشركة قبل الهبوط بيومين ، وأنه نال ربحا قدره ألفان من الدولارات

وفيما كان بات هامبرت عائدا بسيارته من مونتريرى ، فوقف أمام بيت شارك وقال له :

— سمعت ان شركة البترول الجنوبية أفلست ! ..

وابتسم شارك بهدوء وقال :

— ماذا تظن بى يابات ؟ لقد بعث كل أسهمى فيها منذ يومين . ان رجل المال البارع يشم رائحة الافلاس من بعيد جدا . كما اننى كنت أعرف أن الشركة سوف ترفع سعر أسهمى ليطمئن الناس اليها ثم تعلن افلاسها بعد ذلك ٠٠ تلك لعبة قديمة لا تخفى على المتمرس بشئون الاوراق المالية

فهتف قائلا باعجاب :

— ما أبرعك ياشارك

ثم انطلق الى المتجر العام يحمل النبأ الى المترددين عليه . وعاد الناس فى الوادى الاخضر يتهايمسون ببراعة شارك وقدرته على تنمية ثروته

وفى خلال هذه الفترة كان شارك قد اقتترض أربعمائة دولار من

بنك مونتريرى واشترى جرارا زراعيًا مستعملًا أكد به ما يقال عن ثروته الوهمية

وانشرت براعة شارك المالية بين الاهالى ، بحيث لم يعد واحد من سكان الوادى يرغب فى شراء أسهم أو سندات أو عقارات من أى نوع الا ذهب الى شارك لاستشارته . وكان شارك ، فى الواقع ، لا يتسرع أو يتهور فى تقديم مشورته ، وانما كان يبحث الامر مع طالب الاستشارة بدقة وعناية قبل أن يدلى برأيه . . وكانت النتيجة دائما مؤيدة لرأى الناس فيه وفى براعته

وفى خلال سنوات قليلة ، أثبت دفتر حساباته أن ثروته «الوهمية» قد بلغت مائة وخمسة وعشرين ألف دولار . وكان جيرانه يزدادون احتراما له كلما رأوه يعيش كواحد منهم . . ومن ثم كانوا يتهامسون بأن ثروة شارك لم تسكره وتجعله يزهو ويتكبر على جيرانه ويحاول أن يعيش فى مستوى أعلى منهم

وهكذا بنيت زوجته وابنته الحسناء تعملان فى حديقة الخضر وتعدان محصولها للبيع فى أسواق مونتريرى ، وبقي هو مشغولا دائما بالعمل فى المزرعة وبستان الخوخ

وكانت حياة شارك خالية من نزوات العاطفة وخيالات الحب . فقد تزوج وهو فى التاسعة عشرة من عمره من زوجته الحالية كاترين بعد أن صحبها ثلاث مرات فقط الى حفلات راقصة ، ولم تكن كاترين جميلة ، ولكنها كانت فى نضارة عود النبات الفارع ، وفى قوة المهر الجامح . وبعد الزواج فقدت نضارتها وحيويتها كالزهرة حين تقطف ، فتهدل وجهها ، واتسع منكباها ودخلت فى المرحلة الثانية المقدرة عليها . . مرحلة العمل المتواصل من أجل لقمة العيش

ولم يكن شارك فى معاملته لها رقيقا أو قاسيا . . وانما كان يعاملها بنفس الاسلوب الذى يجمع بين الرقة والحزم ، الذى يعامل به الجياد . وكان يؤمن بأن القسوة لون من الفناء . ولكنه لم يكن يحدثها اطلاقا خارج نطاق الشئون اليومية العادية . . لم يحدثها

يومًا عن آماله وأحلامه وأفكاره ومخاوفه .. لم يحدثها عن دفتر حساباته أو عن ثروته المسجلة فوق الورق فقط . ولو أنه فعل هذا لدهشت كاترين وحسبته مجنونًا

ولكن الشيء الحقيقي الوحيد الذي كان يهم شارك ويقض مضجعه هو ابنته الوحيدة الحسنة أليس

كان جمالها واضحًا منذ ولادتها . وظلت سمات الجمال تنمو معها حتى أصبحت أجمل فتاة في الوادي كله . ولكن عقلها لم يكن يساير نمو جمالها ولا نمو جسمها ، ومن ثم أدرك أبوها - حين بلغت الرابعة عشرة من عمرها ، أن الذكاء الطبيعي ينقصها ، وأن هذا النقص فيها قد يعرضها للوقوع فريسة في مخالب أي شاب يحتال عليها ليظفر منها بأعز ماتملكه فتاة مثلها

وكلما رأى شارك الرجال الكبار يختلسون النظر إليها وقد احمرت وجوههم ، والفتيان يتعاركون كالنمور من أجلها ، ازداد شعورًا بمسئوليته نحوها ، وازداد قلقًا على عفافها ، وراح يتخيل عشرات الاخطار التي يمكن أن تقع فيها ابنته الحبيبة .. ومن ثم لم يكن يكف عن تحذيرها من أشياء كثيرة .. من نظرات الرجال والشبان .. ومن حوافر الجياد الخلفية .. من أعمدة السياجات والاسوار ، من عبور الطريق بلا حذر ، من الغرباء الوافدين على الوادي .. وكان كلما سمع عن وجود جماعه من الفجر الرحل أو بعض الدخلاء العابزين بالوادي ، حرص شارك على ألا يدع أليس تغيب عن عينيه لحظة

وكانت كاترين الأم - بعكس الأب - سعيدة بغناء ابنتها ، لأن هذا الغناء جعل الابنة في احتياج دائم إلى رعاية الأم وعنايتها والسهرة عليها

أما الوالد فكان - على قدر حبه لها - يشعر أنها أثقل أعباء حياته ، ومنذ أن بلغت مرحلة النضج وهو دائم الفزع والخوف من أن تفقد طهارتها . وفقدان الطهارة في رأيه ، هو فقدان جانب كبير من جمالها

وأصبح أمر آليس كابوساً في حياته .. فهو لا يكف عن تحذير زوجته مما قد يصيب البنت اذا غابت عن أنظارهما . وكان دائماً يكرر هذه العبارة :

— اننا لا ندرى ماذا يمكن أن يحدث لها

ثم يردف قائلاً وعيناه الشاحبتان تضجّان بالشك والقلق :

— نعم .. لا يستطيع أحد أن يعرف ماذا يمكن أن يحدث لها وهكذا لم يكن هناك أحد يحرس كنزاً له كما كان شارك يحرس ابنته الحسنة آليس

وفي كل شهر .. في أيام محدودة ، كان لا يكف عن سؤال زوجته :

— هل هي بخير ؟

فترد عليه قائلة باحتقار :

— لم يحن الوقت بعد ..

ويظل يسأل بمعدل مرة كل ساعة .. وتحتمل الزوجة أسئلته في صبر .. ويتنهد هو بارتياح عندما تقول له في النهاية رداً على سؤاله التقليدي :

— نعم .. انها بخير :

ويظل شارك مطمئناً حتى يحين موعد الدورة من الشهر التالي .. وعندئذ يعود الى تعذيب زوجته بأسئلته التقليدية حتى يطمئن مرة أخرى .. وهكذا

وفي ذات يوم ، حين تجاوزت آليس السادسة عشرة ببضعة أشهر ، قال شارك لزوجته والقلق يطل من وجهه :

— اننا لا نستطيع أن نطمئن .. تماماً .. الا .. اذا — أعنى .. الا اذا عرضناها على طبيب !

وتحملك كاترين في وجهه برهة وهي تحاول أن تفهم المعنى من حديثه .. ثم اذا هي تفقد السيطرة على نفسها وتهتف قائلة :

— انك رجل قذر التفكير .. اياك أن تحدثنى في أمر كهذا مرة أخرى والا تركت لك البيت الا الابد

ويدهش شارك لثورة زوجته دون أن يحفل بتهديداتها ، ولكنه يقتنع في النهاية بأن مسألة عرض ابنته على طبيب سابقة لاوانها ، وحسبه السؤال التقليدي في كل شهر

وفي خلال هذا كله كانت ثروة شارك الوهمية تزداد تباعا في دفتر الحسابات . وكان بعد أن تأوى كاترين وآليس الى النوم ، يمضى الى دفتر حساباته ويفحص استثماراته المختلفة ويحسب أرباحه وخسائره ويفكر في أحدث الوسائل للحصول على المزيد من الأرباح .. وكانت شفتاه تتحركان كأنه يتحدث تليفونيا لاصدار تعليماته .. وأحيانا يبدو الحزن والحزم فى عينيه حين يأمر بنزع ملكية عقار مرتين لديه ، ثم يقول كأنه يحدث أشخاصا أمامه :

— معذرة أيها السادة .. ولكن الجد .. جد !!

وقبل أن تنتقل أسرة مونرو الى الوادى الأخضر ، كان شارك يرتاب فى كل شاب ورجل تقع عليه نظراته . ولكن عندما شاهد الشاب جيمى مونرو ازداد شكا وجزعا وحرصا على سلامة ابنته . ذلك انه رأى فى وسامة الشاب ونظراته المستهترة وسماته التى تنم عن « ماضى حافل » أكبر خطر يهدد ابنته !

والواقع كان الشاب جيمى خليقا باثارة كل أنواع الفزع والريبة فى نفس شارك .. فقد كان وسيم الوجه ، ممتلىء الشفتين ، لامع الشعر ، أنيق الملبس ، واثقا بنفسه ، مدركا أن بنات الوادى يتنافسن على مودته والاتصال به ، مؤمنا بأن البنات ، كل البنات ، يجرين عادة وراء الشاب ذى « الماضى الحافل » لسبب بسيط ، وهو أن كثرة غراميات الشاب دليل على جاذبيته وافتنان البنات به ! ولهذا السبب لم يكن جيمى يدخر وسعا فى اطلاق الشائعات عن « ماضيه الحافل » وعن عدد البنات اللاتى أوشكن على الانتحار من أجله !

ولفت هذه الشائعات اذنى شارك فازداد حقدا على جيمى وخوفا منه ، وكان كلما تصور لقاء آليس بهذا الشيطان الوسيم جيمى :

سحب وجهه لما يمكن أن يحدث بينهما ... وكان يؤمن بأن أليس؛
بغبائها الطبيعي ، ما كانت لتستطيع أن تقاوم اغراء شاب مجرب
مثل جيمى

وراح يحذر ابنته ، قبل أن ترى جيمى ، من مجرد الحديث الى
الشاب أو مجرد النظر اليه :

- لن تعرفى ماذا سيحدث لك منى لو رأيتك تتحدثين مع ذلك
الشاب جيمى مونرو

- من هو جيمى مونرو يا أبى ؟

- لا داعى للسؤال . ولكن حذار من الحديث معه ، ولو رأيتك
تنظرين اليه فسوف أسلخ جلدك وانت على قيد الحياة

ولم يكن شارك يضرب ابنته قط ، بل كان يخشى أن يربت عليها
خشية انه يترك على بشرتها أثرا . ولم يكن هناك ما يدعو شارك لأن
يضرب ابنته ، لأنها لم تكن تميل الى الشر ، والشر لا يتبع - فى
رأى شارك ، الا من حدة التفكير أو الطموح .. ولم يكن تفكير أليس
حادا ، ولم يكن لها أى لون من ألوان الطموح

وكان كلما وقعت عيناه عليها سألها قائلا :

- هل رأيت ذلك اللعين جيمى ؟

- لا يا أبى

- حسنا .. حذار أن أراك تتحدثين معه

وكانت نتيجة هذا اللاحاح فى تحذير الفتاة من ذلك الشاب
جيمى ، أن صارت أليس تحلم به كل ليلة فى هيئة فارس يجتاح
الوادي بجواده الابيض ، ثم يمد ذراعيه القويتين ويحملها معه الى
عالم مجهول

وتلقى شارك ذات يوم برقية تخبره بأن « العمة نيللى ماتت أمس
وستشيع جنازتها اليوم » ، واستقل شارك سيارته الفورد العتيقة
ومضى بها الى مزرعة جون هوايتسيد ليقول له أنه لن يستطيع
حضور جلسة مجلس ادارة المدرسة فى اليوم التالى ، وقبل ان
ينصرف ، بدت عليه امارات القلق وهو يقول :

— كنت اريد أن أسألك عن رايك فى شركة سان جوزيه العقارية
وأبتسم جو هوايتسيد وقال :

— الواقع اننى لا أعرف الشئ الكثير عن هذه الشركة

— آه ٠٠ ان لدى ثلاثين ألف دولار مودعة بلا استثمار على
البنك ولا تزيد فوائدها على ثلاثة فى المائة ، ولهذا أفكر فى
الاستفادة من هذا المبلغ بطريقة أفضل

ويلوى هوايتسيد شفتيه ، ويوسل صفيرا خافتا ، ويرسم
حركة بأصبعه السبابة فى الهواء ثم يقول :

— اذا كان الامر كذلك ، فيحسن أن تستثمر هذا المبلغ فى هذه
الشركة

— حسنا ٠٠ لسوف أبحث أمر هذه الشركة فى أثناء ذهابى الى
اوكلاند لحضور تشييع جنازة عمتى نيللى

وفى تلك الليلة ، كثر الحديث فى المتجر العام عن الفوائد التى
سيربحها شارك من مساهمته فى هذه الشركة لان شارك كان قد
استثمار عددا كبيرا من جيرانه فى هذا الامر ويختتم الليلة صاحب
المتجر الحديث بقوله :

— لا يستطيع أحد أن ينكر براعة شارك فى هذه الشئون
المالية . ومع ذلك فهو يستشير كل انسان قبل ان يقدم على مشروع
جديد . ولعل هذا سر نجاحه الدائم

ويؤمن الجميع على حديث اللين قائلين ان شارك رجل بارع حقا
فى الشئون المالية .

وسافر شارك الى اوكلاند فى صباح السبت ، تاركا زوجته
وابنته بمفردهما لأول مرة فى حياته ، وفى مساء اليوم نفسه اقبل
توم بريمان يدعو كاترين وابنتهما اليس لشهود الحفلة الراقصة
التي ستقام بالمدرسة فى تلك الليلة

وقالت كاترين معترضة فى خوف :

— ولكن زوجى ما كان ليرضى ان يسمح لنا بالذهاب

— انه لم يطلب منكما عدم الذهاب .. اليس كذلك ؟

- نعم . . . نعم . . . ولكنه ليس موجودا الآن ، ولو كان موجودا لما
رضى بذهابنا

فرد توم بريمان قائلا :

- لا أظن . . . أنه لا يكره أن تستمتعا بوقت طيب . . . هلم استعدا
للذهاب ، انها حفلة بريئة
وقالت اليس فى رجاء :
- هلم نذهب يا أماء .

وكانت كاترين تعلم أن ابنتها لا تتردد فى الذهاب لان غيـساءها
يجعلها لا تقدر العواقب ، انها لا تقدر مدى التعذيب الذى ستعرض
له الام لمدة أسابيع بعد عودة شارك . . . بل أن الام لتكاد تسمعه وهو
ينهاه عليها بالاسئلة :

- لماذا ذهبتما بدون اذن منى ؟ مع من تحدثت اليس ، ومع من
رقصت ؟ وماذا قال لها شريكها فى المراقصة ! ولماذا لم تسمعى
حديثهما ؟

وتظل هذه الاسئلة تنهاه عليها أسبوعا بعد أسبوع حتى يأتى
الموعد المحدد من كل شهر ليلقى عليها الاسئلة التقليدية بمزيد من
الشك . ومعنى هذا كله أن المتعة البريئة القصيرة الامد التى ستنعم
بها مع ابنتها الليلة ، لا تساوى العذاب اسابيع كاملة .

ولكن اليس قالت فى رجاء :

- لنمض يا أماء . . . اننا لم نذهب بمفردنا فى أى مكان طيلة
عمرنا

وغمرت كاترين موجة من العطف على ابنتها . وتذكرت أن الفتاة
المسكينة لم تنعم بالمتع البريئة فى حياتها . . . لم تذهب الى حفلة
ما ، ولم تحدث الى صديقة أو صديق من الجيران ، ولم تخرج
بمفردا يوما . . . ولم تعش - فى حجلتها - كما يعيش الذين فى
مثل سنها . . .

وقالت فى النهاية بصوت كله حزم :

- حسنا . . . اذا انتظرت يا مستر بريمان حتى نرتدى الملابس
المناسبة فسوف نذهب معك . . .

وشعرت أن لها الحق في أن تتخذ مثل هذا القرار الذى لا يتعارض مع حقها الطبيعى - هى وابنتها - فى الحياة

يقال ان الجمال الباهر فى الريف يكاد يكون له نفس المساوىء التى للقبح الشديد . فإذا كان الشبان يشيخون بوجوههم عن الفتاة القبيحة الوجه ، فانهم أيضا يتخرجون من النظر الى الفتاة ذات الجمال الباهر ، وهكذا كان الامر مع آليس بين شبان الوادى . . . كانوا يشعرون - عند رؤيتهم لها ، بجفاف فى حلوقهم ، ورطوبة فى كفوف ايديهم ، واحمرار فى اعناقهم ، وكان طبيعيا ان يشعروا بالحرى الشديد فى الحديث معها أو مراقبتها ، ومن ثم كانوا يفضلون مراقبة الفتيات الاقل جمالا ، مع الحرص على لفت نظرها بما يصدرونه من صخب وضجيج وضحك وعنف فى الرقص وكانوا يختلسون النظرات اليها اذا أدارت وجهها عنهم ، ثم يسرعون بابتعاد أنظارهم عنها حين تدير وجهها اليهم متظاهرين بأنهم لا يشعرون بوجودها ، وهكذا كانت الفتاة المسكينة لا تجد فى الحفلة الراقصة احدا يحدثها أو يراقصها

أما فى هذه الحفلة ، فقد كان فيها جيمى مونرو ، ابن برت مونرو ، الذى حول مزرعة باتل الى جنة خضراء ، وجعل من البيت المهجور منزلا آية فى الجمال والرواء . . كان جيمى فى قاعة الرقص معتمدا بكتفه الى الجدار ، وسيما ، أنيقا ، لامع الشعر ، جذاب النظرات . وما كاد يرى كاترين وابنتها آليس تدخلان حتى كالصقر ووقف بجوار آليس وقال لها بذلك الصوت المطوط :

- أترقصين يا عزيزتى معى ؟

- هه ! . .

- اتحبين أن ترقصى معى ؟

- أرقص . . أتعنى هذا ؟

وركزت آليس نظراتها العذبة على وجهه ، وكان صوتها ينم عن معان كثيرة غير مجرد السؤال ، وقال جيمى لنفسه مفتونا :

« انها تسألنى .. هل سترقص فقط ..؟! »

وشعر بغصة فى حلقه ، ورطوبة فى كفيه .. والتفتت آليس الى امها التى كانت مشغولة بالثرثرة مع المستر بريمان وقالت لها :

— هل أرقص يا اماه ؟

وابتسمت كاترين لها وقالت :

— نعم .. أرقصى واستمتعى بحياتك ولو مرة واحدة

ولاحظ جيمى أن آليس لا تحسن الرقص . ولما توقفت الموسيقى قال لها وهو يقترب بها من الباب المفضى الى الحديقة :

— ان الجو هنا خانق .. ما رأيك فى لحظات نقضيها فى الحديقة حيث الهواء المنعش !

ثم قادها الى ظل شجرة كبيرة فى فناء المدرسة

وفى خلال هذا ، دخلت سيدة كانت واقفة فى مدخل الفناء ، الى قاعة الرقص وهمست شيئاً فى اذن كاترين . وانطلقت الام الى الفناء مسرعة وهتفت تنادى آليس :

— آليس .. أين أنت ؟! تعالى الى هنا ..

ولما برز الشاب والفتاة من ظل الشجرة ، قالت كاترين لابنتها :

— أين كنت ؟!

ثم استدارت الى جيمى واردفت قائلة :

— اسمع ايها الشاب ، ابتعد عن ابنتى والا جلبت على رأسك وعلينا المتاعب .

وذابت رجولة جيمى ، وأحس كأنه صبى مذنب عاد الى بيته بعد محاولة للفرار ، ورغم تمرده على هذا الشعور ، فإنه لم يستطع أن يفعل شيئاً

ومضت كاترين بابنتها الى قاعة الرقص بالمدرسة وهى تقول لها بجدة :

— ألم يحذرك أبوك من الحديث مع هذا الفتى ؟

— من هو يا اماه !

— انه جيمى مونرو ..

— لم اكن أعرف انه هو
— انه هو بالتأكيد .. ماذا كنتم تفعلان ؟
— كان يقبلنى
وفغرت كاترين فاها وتمتت فى تعاسة :
— يا الهى .. يا الهى .. ماذا افعل الآن !
— هل أذنبت يا أماء ؟
فقطبت كاترين جبينها قائلة :

— لا .. لم تذنبى طبعاً .. ولكن حذار ان يعلم أبوك بهذا ،
لا تقولى له شيئاً حتى لو سألك ، انه سيجن لو عرف ، والآن ..
اجلسى بجانبى طيلة الحفلة ولا تحاولى رؤية جيمى مرة أخرى ،
ولعل والدك لا يعرف شيئاً عما حدث ، يا الهى .. اننى أرجو الا
يخبره أحد بما حدث .

وعاد شارك فى مساء يوم الاثنين ، هبط من القطار فى بلدة
سليناس ثم استقل السيارة الحافلة الى مدخل الوادى ، ثم هبط
وحمل حقيبته ليقطع الاميال الاربعة حتى يصل الى بيته .

وكان الليل صافيا والسماء مثقلة بالنجوم ، وشعر كأن اصواتا
خفية تنساب من التلال لاستقباله .. وافعم قلبه باحساس من
البهجة جعله لا يشعر بطول المسافة الى بيته .

لقد كان مسرورا برحلته .. ذلك أن أقاربه استقبلوه كمايستقبل
الأقارب الفقراء قريباً موفور الثراء .. ومن ثم أحاطوه بالتقدير
والاحترام ، راحوا يتهامسون — وهو يسمع بهمساتهم — عن مبلغ
ثرائه .

ولما وصل فى مسيره الى المتجر العام ، قرر ان يعرج عليه لسمع
آخر الأنباء عن الوادى الاخضر من المستر آللين صاحب المتجر ،
وكان المعروف لدى الجميع أن للمستر آللين طريقة جذابة فى تقديم
ما لديه من اخبار ، بحيث يجعل أتفه خبر يبدو كأنه قصة مثيرة
ولم يكن فى المتجر أحد غير صاحبه الذى كان جالسا على كرسى

متأرجح ، ينظر باهتمام وابتسام الى شارك وهو يقبل عليه ، ثم قال له :

- سمعت أنك كنت غائبا يومين عن الوادى يا شارك
- كنت فى اوكلاند .. ذهبت للتغذية فى موت عمى .. ولم
انس أن أقوم ببعض العمليات المالية قبل أن اعود .
وظل آللين ينصت الى حديث شارك وهو يتظاهر بشئ من القلق ،
ومن ثم قال له شارك :

- ماذا بك يا آللين ؟ هل حدث شئ ؟
وسرعان ما ارتسم على وجه آللين سميت الرجل الذى يعرف
شيئا ولكنه لا يريد ان يذكره حتى لا يخرج سامعه ، وبدأت بوادر
القلق تنوش قلب شارك وهو يتساءل :
- هل حدث شئ فى اثناء غيابى ؟
وهز آللين كتفيه وقال :
- لا شئ اكثر من حفلة راقصة فى المدرسة !
- لقد سمعت عنها .

وتلملم آللين فى مكانه وكان فى أعماق نفسه صراعا مريرا ..
هل يخبره بما سمع أو يبقى ما يعرفه فى نفسه ! وراح شارك يرقب
هذا الصراع على وجه آللين ثم قال بقلق متزايد :

هه .. ماذا حدث ؟

- سمعت أن زواجا سيعقد فى وقت قريب
- زواجا ؟ زواج من ؟
- زواج فتاة يهكم أمرها
- من ؟!

وهز آللين كتفيه كأنما لم يعد يستطيع كبح جماح نفسه فقال :
- آليس

وتجمد شارك فى وقفته وراح يحملق فى وجه آللين كأنما يأبى
أن يصدق ما سمع ، وفجأة تقدم نحوه مهددا وقال :
- ماذا تعنى ؟ اخبرنى .. ماذا تعنى بقولك هذا ؟

وأدرك آللين أنه تجاوز الحد في موقفه التمثيلي ، ومن ثم تراجع قليلا وهو يقول :

- حذار يا شارك .. حذار أن ترتكب شيئا تندم عليه .
وأمسك شارك بكتفى آللين وهزه بعنف قائلا بأنفاس لاهته :
- اخبرني ماذا تعنى بقولك هذا .. تكلم يا رجل .
- ان ما حدث كان في الحفلة الراقصة .. في الحفلة الراقصة فقط

- هل كانت آليس في الحفلة الراقصة
- نعم
- وماذا كانت تفعل هناك ؟
- لا أعرف .. أعنى .. لا شيء
وعاد شارك يهزه بعنف وهو يقول له :
- اخبرني .. ماذا حدث ؟
وهمهم الرجل العجوز في خوف :
- انها لم تفعل شيئا أكثر من أنها خرجت الى فناء المدرسة مع جيمى مونرو
ومرة أخرى أخذ شارك يهز صاحب المتجر كما يهز الانسان غرارة ارز ويهتف قائلا :
- تحدث .. ماذا فعل في الفناء ؟
- اننى لا اعرف ..
- اخبرني
- حسنا .. ان المس برك .. المس برك تقول انهما كانا يتبادلان القبلات

وألقى شارك بالرجل من يديه كالغرارة ، وتهالك جالسا وقد بدأ عليه الذهول والضياع . وفيما كان يحملق في وجه آللين ، كانت أفكاره مشغولة بطهارة ابنته ولم يخطر بباله ان القبلة لا تمس هذه الطهارة في قليل أو كثير .. ودار بعينيه في انحاء المتجر حتى استقرت نظراته على الخزانة الزجاجية التى يحتفظ بها آللين

بالاسلحة النارية .. البنادق والمسدسات

ولم آللين نظرات شارك واتجاهها ، ثم قال :

— حذار يا شارك .. ان هذه البنادق لا تخصك

ولم يكن شارك فى الواقع مشغول الفكر بالبنادق .. بل كان من فرط احساسه بالقلق لا يكاد يراها .. ولكن كلمات آللين جعلته يقفز نحو الخزانة ويفتح بابها ويختطف بندقية ثقيلة وصندوقاً من الذخيرة ، ثم استدار ، دون ان يلقي نظرة على صاحب المتجر ، وانطلق يعدو فى الظلام

وفى ما كان يندفع بخطوات سريعة نحو بيت برت مونرو ، كانت أفكاره تسابق خطواته ، وكانت هذه الافكار تؤكد له شيئاً واحداً ، وهو انه لا يريد اطلاقاً أن يقتل جيمى مونرو .. بل ان فكرة القتل لم تخطر بباله الا عندما أوحى اليه بها آللين ، وبعد ان سار قليلاً ، هدأت نفسه وزالت فكرة القتل تماماً من ذهنه ، ولكن ماذا يفعل الآن ؟ ماذا يقول حين يصل الى بيت مونرو ! انه يخشى ان تخذله اعصابه فيطلق النار على جيمى حين يراه ، ومن يدري .. فربما تطورت الامور بحيث يضطر الى الاحتفاظ بكرامته امام سكان الوادى

وسمع وراءه سيارة تنطلق بسرعة بالغة ، فمال على جانب الطريق ليفسح لها مكاناً .. وعاد يفكر فى جيمى مونرو .. انه لا يشعر نحوه بأية كراهية .. ولكنه يشعر فقط بالحيرة فيما سيفعل مع ابنته .. انه يشعر انه فقدوها الى الابد

وشاهد امامه الاضواء المنبعثة من بيت مونرو .. وفيما هو يقترب منه ، رأى رجلاً يبرز اليه من راء شجرة ويهتف به :

— الق بالبندقية الى الارض يا شارك وسلم نفسك

وأطاع شارك الامر فوراً وقد عرف أنه صادر من وكيل المأمور وقال له ببساطة :

— كيف حالك يا جاك .. ماذا حدث ؟

وارتسم الخوف على وجه شارك حين رأى وكيل المأمور يتقدم

نحوه ومعه عدد من سكان الوادى ، وكان بينهم برت مونرو بوجه شديد القلق

وقال برت مونرو لشارك :

- لماذا تريد أن تقتل جيمى مونرو يا شارك ؟ انه لم يسيء اليك ، وقد اخبرنى آللين بأنك تنوى قتله ، ولهذا جئت لاهلك الى المكان الذى لا تستطيع منه ان تعتدى على أحد

ورد وكيل المأمور قائلا :

- انك لا تستطيع ان تطلب سجنه يا برت . انه لم يفعل شيئا . ولكنك تستطيع فقط ان تطالبه بضمان مالى يمنعه من اذاء ابنك .

فقال برت مونرو بصوت مرتعش :

- اذن سأفعل هذا

وقال وكيل المأمور :

- ويحسن ان تطالب بضمان مالى كبير . ان شارك رجل واسع الثراء ، هلم ، لسوف نأخذكما الى ساليانس الآن حيث يمكنك ان تقدم شكواك للسلطات القضائية

وعاد شارك فى صباح اليوم التالى الى بيته ورقد فى فراشه صاحب الوجه ذليل السمات ، مفتوح العينين ، زائف النظرات ، متهدل الجسم ، وظل على هذا النحو ساعة بعد أخرى لا يتحرك يتكلم أو يريم . ووظنته كاترين نائما . ولما طالت رقدته ، تقدمت على أطراف أصابعها وهمست له حين رأت عينيه المفتوحتين :

- ان آليس بخير .. كان يجب أن تسألنى قبل ان تفعل شيئا

ولم يرد شارك .. ولم يتحرك من مكانه ، وعادت هى تقول :

- ألا تصدقنى ، اذا كنت ترتاب فى حديثى ، فامض بها الى أى طبيب تختاره

وتمتم شارك دون أن ينظر إليها :

- اننى أصدقك

وفجأة شعرت كاترين بموجة عارمة من الحنان تغمرها ، وإذا هى تفعل شيئا لم يسبق ان فعلته فى حياتها الزوجية .. لقد

مضت الى السرير ووضعت رأس زوجها على حجرها كأنها أم حانية
تهدىء من مخاوف ابنها

وعاد شارك يقول بصوت مفعم بالاسى والالم :

— اننى لا أملك أى مال ، لقد طالبونى أمام القاضى بضمان مالى
لا يقل عن عشرة آلاف دولار ، ولم يسعنى الا أن أعترف بالحقيقة
امامهم جميعا .. أمام سكان الوادى جميعا .. اعترفت بأنى لا املك
شيئا ، وان كل احاديثى عن الصفقات المالية وغيرها كان من تهاويل
الخيال .. لقد عرفوا الحقيقة يا كاترين .. لم اعد الرجل الثرى
البارع فى نظرهم

وأخذت كاترين تمسح على شعره برفق وهى تحس انها تملك
الدنيا كلها بين يديها فى تلك اللحظات ، بل لقد احست انها غدت
أكبر من الدنيا كلها ، وعاد شارك يقول لها :

— اننى لم أفكر فى ايذاء احد .. بل لم يخطر ببالى اطلاقا ان
أقتل جيمى مونرو .. ان كلمات آللين هى التى اوحت الى باختطاف
البندقية .. ولكننى لم أفكر فى قتله ابدا

وصمت برهة لاهث الانفاس قبل أن يستطرد قائلا :

— اننى فى الحقيقة أحب برت مونرو منذ ان وفد الى الوادى
.. انه رجل لطيف المعشر ، عانى كثيرا فى حياته من سوء الطالع
.. فكيف افكر فى قتل ابنه جيمى .. لقد كنت اوشك ان استدير
عندما وصلت الى مشارف بيته ثم أعود الى بيتى ، ولكننى ..
ولكننى ..

ومرة أخرى توقف شارك عن الحديث حتى يلتقط انفاسه ثم
أردف يقول :

— ولكننى فوجئت بوكيل المأمور وبعض سكان الوادى ومعهم
برت مونرو ، والآن .. ان الجميع يعرفون الحقيقة .. يعرفون
اننى لا أملك أى مبلغ من المال أكثر مما أحتاج لقوت يومى

وفاضت مشاعر الحنان فى قلب كاترين .. وفجأة ادركت
بوضوح ماذا يمكن ان تفعل .. بل ماذا يجب أن تفعل ، ومن ثم

قالت بلهجة جادة حاسمة :

- ان الفرصة لم تسنح لك .. لقد عشت حياتك كلها فى هذه المزرعة الصغيرة القديمة دون ان تتاح لك أية فرصة لجمع ثروة .. فمن أدراك أنك لا تستطيع أن تجمع ثروة طائلة ، اننى أعتقد أن هذا فى مقدورك .. بل أعرف ان هذا ممكن اذا حاولت ..

وانثالت فى جسمها قوة روحية هائلة جعلتها تستطرد قائلة وهى تواصل المسح بيدها على جبينه :

- لسوف نرحل من هنا .. سنبيع هذه المزرعة ونمضى الى المدينة ، وهناك ستتاح لك فرصة الحصول على ثروة .. اننى واثقة بمراهبك وامكانياتك

وزالت من عينى شارك نظرات اليأس ، وشعر فجأة بالقوة تعود الى جسمه المتخاذل ، ونظر الى كاترين ودهش لما رآه من جمالها فى تلك اللحظة ، وفيما هو ينظر اليها ، انتقلت اليه روح التصميم وقال بصوت كله الحزم :

والرغبة فى الكفاح للحصول على ثروة حقيقية بدلا من الوهمية التى ضاعت منه

- سنرحل يا كاترين .. سنبيع المزرعة ونبدأ حياة جديدة فى المدينة ، وسيعرف سكان الوادى أى رجل أنا ؟

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الابتسامة

الغوريلا

كان لفرانك جوينر أحد أصحاب المزارع فى الوادى الاخضر ، عامل هندى مولد يدعى بانش • وفى كل ثلاثة أشهر كان بانش يحمل مدخراته ويذهب الى مونتريرى حيث يعترف للقس بأثامه كلها ، ثم ينفق مدخراته فى الاشهر الثلاثة على الخمر ، وبعد يومين أو ثلاثة من السكر الشديد ، يلقي بنفسه فى مركبته - اذا أفلت من المبيت فى السجن - يترك لجواد المركبة العنان ليعود به الى مزرعة فرانك جوينر

وكان الجواد ، عادة ، يصل الى المزرعة قبل مطلع الفجر ، وهناك يتناول بانشو طعام الافطار ويمضى الى عمله وكأنما لم يحدث شئ • وفى المعتاد يكون بانشو مستغرقا فى النوم حين يصل به الجواد الى المزرعة • ولهذا السبب دهش فرانك جوينر ، مخدومه ، حين فوجئ به ذات صباح مبكر يهرع اليه مستيقظا تماما • • وصائحا أيضا :
- مستر جوينر • • أدركنى • • أدركنى يا مستر جوينر

وعرف فرانك جوينر منه أنه سمعه - وهو يقترب من منطقة « بلاك » المظلمة دائما ، عويل طفل وليد فى دغل بجوار الطريق ، وتصادف أن بانشو كان مستيقظا ومتنبها ، فوقف الجواد ، وهبط ليتحرى الامر ، وما لبث أن عثر على طفل وليد ملقى تحت احدى الشجيرات ولا يزيد عمره على ثلاثة أشهر ، وأشعل بانشر عود ثقاب وحمل الوليد وراح يحملق فيه • • وفجأة سمعه يقول له بصوت أحسن :

- أترى • • اننى الغوريلا • • ولى أنياب يمكن أن تنهشك وألقى بانشو بذلك الشئ المرعب وقد اصطكت أسنانه ، ووثب

الى المركبة وانطلق بها هارعا الى المزرعة ، مستنجدا بفرانك من شر ما رأى وراح فرانك جوينر يفكر مليا فى حديث بانشو .. وخطر بباله فى أول الامر أن الرجل مخمور .. ولكن بانشو كان متنبها وأسنانه لا تزال تصطك . وقرر فرانك أخيرا أن يذهب الى المكان المسمى « بلاك » ليتحرى بنفسه الامر . وذهب وعاد حاملا طفلا وليدا فى نحو الشهر الثالث أو الرابع من عمره .. ولم يكن يصدر من الاصوات الا عويل الاطفال الجائعين ، ولم تكن له أنياب على الاطلاق

ومع هذا فقد ظل بانشو يؤكد لكل من يقابله أن الطفل حدثه بصوت أجش ، وأنه قال عن نفسه انه غوريلا بأنياب حادة

والواقع أن الطفل كان أقرب الى قرد وليد منه الى طفل بشرى .. كان طويل الذراعين ، داكن اللون ، طويل الوجه ، غائر العينين بارز اللثة .. مما ينبئ بأنه سيكون بارز الاسنان أيضا حين تنبت له أسنان .

وقرر فرانك أن يسميه الغوريلا . ولكن سكان الوادى احتجوا عليه وقرروا أن يسموه تورلاسينو .. أى الضفدع الصغير

ولم يعرف أحد قط من هو الذى ألقى بالطفل فى ذلك المكان المظلم ، أو من هى أمه . وهكذا بدأ الطفل ينمو فى مزرعة فرانك تحت رعاية بانشو الذى ظل يخافه ، لا ينسى اطلاقا حديثه الايل معه !

ونما الطفل بسرعة ، ولكن عقله توقف عن النمو بعد أن بلغ الخامسة من عمره .. وفى السادسة كان فى مقدور تورلاسينو أن يقوم بالاعمال اليدوية كأي رجل . كانت أصابعه الطويلة الشبيهة بأصابع الغوريلا أقوى من أصابع أى رجل . وهكذا راح فرانك يستغله فى العمل بالمزرعة . والعجيب أن أصابع الصبي التى كان يمكنه بها قطع رأس أى دندى فى لحظة ، كانت رقيقة جدا مع أعواد النبات ، فلم يحدث قط أن أذى نبتة أو كسر عودا أو اقتلع شجيرة نافعة . والاعجب من هذا أنه كان قادرا على استعمال ظفر

ابهامه القوى فى حفر وتشكيل التماثيل الحيوانية الصغيرة من
الحجارة الرملية . ولا يزال بيت فرانك جوينر محتفظا بالكثير من
هذه التماثيل . . تماثيل الثعالب الامريكية ، والاسود الجبلية ،
والصقور والدجاج . وكان بانشو يرجع مهارة الصبى فى هذا الفن
الى أجداده الابالسة الذين انحدر عنهم

ورغم أن سكان الوادى الاخضر كانوا لا يؤمنون - بطبيعة الحال -
بأن تولارسينو ينحدر من أصول ابليسية ، الا أنهم كانوا يشعرون
بالحرج والتوتر أمامه . وكانت عيناه الفائرتان ، وجسمه القوى
ومواهبه الخفية فى النحت ، تجعل الاطفال يتجنبونه ، والكبار
يتعرجون منه

وكان الغلام هادئا بطبيعته الى حد كبير . ولكنه كان يشور بعنف
وجنون اذا حاول أحد ، أيا كان أمره ، أن يمس بالسوء أحد
التماثيل التى ينحتها بظفره أو الصور البدائية التى يخطها بالقلم
على الورق

وفى المرات الثلاث التى ثار فيها بهذا العنف وقد برقت عيناه
وأطلت منهما نظرات قاتلة ، تمكن فرانك وبانشو من تقييد يديه
ورجليه وتركه حتى يهدأ أو حتى يندم على ما فعل

وكان على تولارسينو أن يذهب الى المدرسة بحكم القانون وهو فى
السادسة من عمره . ولكن الصبى رفض الذهاب . وبذلت سلطات
الشرطة والمسئولون عن التعليم فى الوادى جهودهم طيلة خمس
سنوات لاقتناع فرانك والغلام بأن التعليم أساسى فى حياة المرء
كالطعام والشراب . وفى خلال هذه السنوات كان الغلام يذهب الى
المدرسة يوما ويهرب منها أسبوعا . . ولما بلغ الحادية عشرة وقد
أصبح فى قوة ثور أو غوريلا حقيقية ، قرر أن ينتظم فى المدرسة
وهو يدرك تماما أن أحدا لن يستطيع أن يمس به بسوء أو أن يسخر
منه أو يتندر عليه

ورغم أن تولارسينو لم يتعلم شيئا فى المدرسة ، الا أن موهبته
فى الرسم ظلت تنمو باطراد . ولما اكتشفت المس مارتن ،

المدرسة ، هذه الموهبة ، أعطته قطعة طباشير وطلبت منه أن يرسم على السبورة بعض الحيوانات والطيور . وبعد انصراف التلاميذ من المدرسة ، شرح تولارسينو فى تغطية السبورة وجدران الفصل بألوان وفنون من الصور والرسومات . وهكذا فوجئ التلاميذ والمدرسة فى صباح اليوم التالى برؤية حشود وطواير من الحيوانات الزاحفة ، والطيور المحلقة ، والاسود والغزلان والشعالب والقطط البرية والابقار والافاعي . . . كلها مرسومة بدقة وبراعة مذهلة

وذهلّت المس مارتن من موهبة تولارسينو ، وراحت تمتدحها أمام تلاميذ الفصل ، وتشرح طبيعة كل حيوان ، وطيّر مرسوم ، وقال الغلام مزهوا :

- أستطيع أن أرسم أكثر من هذا

وربّتت المدرسة كتفه قائلة :

- نعم . . سوف ترسم . . سترسم كل يوم . أن الله منحك موهبة عظيمة

وسر من هذه العبارة الاخيرة ، فنظرت فى عينيه طويلا وقالت تكررهما :

- ان الله منحك موهبة عظيمة يا تولارسينو

ثم أردفت قائلة للتلاميذ :

- والان حانت حصّة الحساب . .

واندفع بعض التلاميذ الى السبورة يزيلون ما فوقها من رسوم ليفسحوا مكانا للارقام ، ولكنهم ما كادوا يبدءون فى الازالة حتى انقض تولارسينو عليهم . . وكان يوما رهيبا . . لم يستطع تلاميذ المدرسة جميعا ، ولا الفراش أو المدرسة أن يتغلبوا على الغلام الغوريلا . . لقد كان يصارعهم بيديه وأسنانه وقدميه . . واثالت أنهار من الجبر ، وتحطم عدد كبير من المقاعد والمكاتب . . وانتهت المعركة بأن هرب جميع من كان فى المدرسة تاركين أياها للوحش الصغير

ولما خلت المدرسة ، أغلق تولارسينو الباب من الداخل ، وشرع

يكسو جدران الفصول برسومه المختلفه وهو يمسح عن وجهه وعينية آثار دمار المعركة

وفى المساء ذهبت المس مارتن الى فوانك جوينر وطالبت به بأن يجلد الوحش الصغير تولارسينو جزاء ما جنت يدها ، وقال له جوينر :

- هل تريدني منى أن أجعله بالسوط يا مس مارتن ؟

فزمت المس مارتن شفتها برهة ثم قالت :

- نعم يا مستر جوينر ! لو أنك رأيت ما فعله هذا الغلام بنا اليوم لأدركت أنه فى حاجة الى العقاب

وهز جوينر كتفيه واستدعى تولارسينو اليه ، ثم تناول من الجدار سوطا من سياط الخيل ، وراح يهوى به على ظهر الغلام فى ضربات متوالية • وكان الغلام يتحمل الضربات بابتسامة بلهاء • بينما كانت المس مارتن تنظر الى ما يجزى أمامها وكأنها فى حلم

وبعد أن كف جوينر عن الضرب ، انصرف تولارسينو بهدوء • وصاحت المس مارتن :

- عجباً انه ليس من البشر اطلاقا •• لقد تلقى الضربات كالكلب، دون أن يحتج حتى بالبكاء

وقال لها جوينر :

- اذا كان حيوانا فهو حيوان طيب مسالم •• لقد طلبت منه يا مس مارتن أن يرسم حيوانات •• ثم أردت أن تزيل رسوماته •• وهو يكره هذا

وقبل أن تقول المس مارتن شيئا ، أسرع جوينر يقول :

- أن المدرسة لا تقيد تولارسينو شيئا • انه لا يفهم من دروسكم شيئا • ولكن الله منحه موهبة خاصة ، يستعمل فيها يديه • انه ليس معتوها وان كان عقله لم ينم نموا طبيعيا

وقالت المس مارتن :

- ولكن القانون يقول ان تولارسينو لابد أن يبقى فى المدرسة حتى الثامنة عشرة من عمره •• أى أن عليه أن يبقى سبع سنوات

أخرى فى الفرقة الاولى دون أن يفهم شيئا

وبعد برهة أردفت المس مارتن قائلة :

— هذا ما يقوله القانون ٠٠ أما رأيى أنا ، فانى أفضل أن يودع

فى زنزانة ، لانه مخلوق شديد الخطر على الغير ٠٠ ولو أنك رأيت
ما فعله بنا اليوم ، لأدركت شعورى

— لا يا مس مارتن ٠٠ ان من حقه أن يعيش طليقا ، انه ليس

خطرا على أحد ، وليس فى الوادى كله انسان يحسن فلاحه
البساتين مثله ، أو يحلب البقر ببراعته أو يروض جوادا شموسا

بنفس قوته ، أو يدرب كلبا دون أن يضربه بالسوط ومع ذلك
فلا بد — طبقا للقانون — أن يقضى فى المدرسة سبع سنوات أخرى

فى الفرقة الاولى يردد كالببغاء زاي — راء — عين — زرع ٠ ولو كان
خطرا كما تظنين لقتلنى وأنا أجلده بالسوط

وهزت المس مارتن كتفيها فى يأس ، ثم انصرفت لتجد

تولارسينو أمامها فى صباح اليوم التالى بالمدرسة يقول لها وهو
يشير الى الجدران المكسوة برسوماته :

— أترين ؟ اننى أستطيع أن أرسم أكثر من هذا ٠ ولكن لا يوجد
مكان

واستغنت المس مارتن عن السبورة للتدريس ، واستبدلت بها
الاوراق والاقلام ٠ وفى نهاية السنة الدراسية ، قدمت استقالتها ،
ورحلت عن الوادى الاخضر

وكانت المس مورجان — المدرسة الجديدة — شابة فى نحو الثلاثين
من عمرها ، على جانب كبير من الجمال مما جعل الآباء فى الوادى
يخشون أن يفتتن بها أبناءؤهم البالغين سبع عشرة سنة فى الفرقة
النهائية

ولكن المس مورجان كانت مدرسة تحب عملها وتتقنه وتعرف
كيف تسيطر على الفصل وتضع كل تلميذ ، صغيرا كان أم كبيرا ،
فى موضعه

ومن اللحظة الاولى ترك تولارسينو أثرا عميقا فى نفس المس

مورجان لقد عرفت الكثير عنه ، وقرأت الكثير من الكتب الخاصة
بمعاملة أمثاله من المتخلفين ذهنيًا . ولما عرفت بأمر المعركة التي
دارت في المدرسة ، خصصت له مساحة معينة حول السبورة ليرسم
عليها ما يشاء من حيواناته . ولما امتلأت اشترت له كراسات للرسم
وأقلاما ملونة ليشبع فيها هوايته ، ولم يعد هو بعد ذلك يوجع
رأسه بالهجاء أو نطق الكلمات ، وانما اكتفى باشباع هوايته في
الرسم والنحت ، وكانت المس مورجان تعلق لوحاته في المدرسة
باعتبارها أعمالا فنية تستحق التقدير

واستقبل التلاميذ ، على اختلاف أعمارهم ، الاسلوب التعليمي
الجديد للمدرسة الجديدة ، بالحماس والاعجاب . وقد بلغ اعجابهم
بها أنهم قرروا الاقلاع عن الشغب وعن التفكير في الهرب منها .

وكانت المس مورجان قد أدخلت أسلوبا جديدا للتدريس بعد
الفراغ من الحصص الاولى . . كانت تقرأ للتلاميذ فصولا مسلسلة
من روائع الادب العالمية في فن القصة ، مثل ايفانهود النميّة ،
وقصص صيد وحوش البحار للروائي زان جراي ، وقصص جيمس
أوليفر كروود المشوقة مثل « ذئب البحر » و « نداء البراري » ولكن
تولارسينو لم يكن يهتم بشيء من هذا كله ، لانه لم يكن قادرا على
تتبع هذه الفصول بذهنه المتخلف ، ومن ثم كان يكتفى بالرسم

وبعد أسابيع رأّت المس مورجان أنها أسعدت التلاميذ الكبار على
حساب زملائهم الصغار ، ومن ثم قررت أن تقضى نصف ساعة بعد
ظهر كل يوم في قراءة « القصص الخرافية » لصغار التلاميذ . .
مثل أليس في بلد العجائب ، ورحلات جاليفر

وفوجئت المس مورجان بتولارسينو يهتم بقصصها الخرافية هذه
وينصت بشغف الى حكاياتها العجيبة عن الاقزام وعقلة الاصبع
والساحرات والحيوانات وحيات البحر . وكان أشد ما استهواه من
هذا كله حكاياتها عن المخلوقات الصغيرة - الاقزام - التي تعيش
تحت الارض ، عن حياتها وطباعها وحروبها وغرامياتها
وكانت المس مورجان ، بعد انصرافها من المدرسة ، تسير نحو

نصف ميل ، لتصل الى مسكنها المفروش فى احدى مزارع الوادى ، وكانت تحب السير بمفردها حيث تستنشق هواء التلال المنعش ، وتنعم بزقزقة العصافير ، وتمتع النظر بالخضرة والاشجار والخمائل والجداول ، وتسعد القلب بشذى الازهار البرية وبذلك العطس الخفى المنساب من الارض الخضراء

وفى ذات يوم بعد الظهر ، صعدت الى تل من الصخور الجيرية وراحت تنقش على قطعة حجرية فى قمته الحروف الاولى من اسمها . ووخزت شوكة أصبعها فسألت منها قطرات من الدم تشربتها الصخرة الجيرية . ومن ثم نقشت على الصخرية هذه العبارة « لقد تركت هنا جزءا من نفسى »

وفى تلك الليلة ، كتبت فى مفكرتها تقول :

« ان الانسان بعد أن يشبع رغباته الطبيعية ، يجب دائما أن يترك وراءه أثرا ، أو ربما دليلا على أنه كان حيا فى يوم ما . انه يترك هذا الدليل على الخشب أو الحجارة أو الورق أو فى حياة غيره من الناس ، ان هذه الرغبة العميقة تكمن فى نفس كل انسان ، ابتداء من التلميذ الذى يكتب الكلمات السخيفة فى دورة المياه الى الاله بوذا الذى يترك صورته محفورة فى قلب كل تابع له . ان الحياة تبدو فى كثير من الاحيان غير حقيقية ، ولهذا فنحن نجاهد دائما لنثبت لانفسنا أننا حقاً نعيش »

وفىما كانت عائدة بعد ظهر أحد الايام الى مسكنها ، فوجئت بوجه تولارسينو يبرز من دغل على جانب الطريق ، فقالت له باسمه :

— لقد أفزعتنى يا تولارسينو

ووقف تولارسينو يتسهم فى خجل ويختلس النظر الى المس مورجان التى تبينت فجأة أن الطريق خال ، فامتلا قلبها بخوف وهى تقول :

— ماذا . . ماذا تريد يا تولارسينو ؟

ولم يجب الغلام . وانما اتسعت ابتسامته فقط . وعادت المس مورجان تقول :

- هل كنت تجلس هنا فقط .. أم .. أم تريد شيئا ؟
وحاول الغلام أن يقول شيئا ، ولكنه لم يستطع ، فقالت هي :
- حسنا .. اذا لم يكن لديك ما تريد أن تقوله .. فسوف
أمضى

وقبل أن تنطلق هاربة ، استطاع الغلام أن يقول :

- عن هؤلاء المخلوقات ..

- اية مخلوقات ؟ ماذا تعنى ؟

- المخلوقات الصغيرة التى تحدثيننا عنها من الكتاب

وابتسمت المس مورجان فى شئ من الاطمئنان وقالت :

- أتعنى سكان باطن الارض .. الاقزام ؟

- نعم

- ماذا تريد منهم ؟

فقال بنفس نبرات الصوت الرتيبة التى لا ترتفع أو تنخفض :

- اننى لم أر واحدا منهم

- انهم لا يظهرون عادة للناس

- ولكننى عرفت الكثير عنهم ..

فضاقت عينها وتتمت بفضول :

- أحقا ؟ ومن اين عرفت هذا الكثير عنهم ؟

- من لا شئ

- اذا كنت لم ترهم ، ولم يخبرك أحد عنهم بشئ ؟ فكيف

عرفت الكثير من أمرهم

- يكفى أنى أعرفهم . وربما سمعتهم .. ألم تقرئى لنا الكثير

عنهم فى الكتاب

وفكرت المس مورجان « لماذا أصددم هذا الغلام المسكين فى

خيالاته عن هذه المخلوقات . ألا يمكن أن تمتلئ حياته بالسعادة

والمتعة اذا آمن بوجودهم ؟ وأى ضرر يمكن أن يحدث له فى هذه

الحالة ؟ »

وقالت له بصوت مسموع :

- هل حاولت البحث عنهم ؟

- لا .. كنت أعلم عنهم فقط .. ولكننى سوف أبحث عنهم منذ اليوم

وشعرت المس مورجان بطرافة الموقف .. انها الان تواجه حقيقة تقترب من الخيال .. أنها تعيش فى تلك اللحظة فى قلب قصة جميلة يمكن أن تكتبها يوما . ومن ثم عادت تقول :

- وأين ستبحث عنهم ؟

فقال تولارسينو بهدوء :

- سأحفر فى الارض ..

- ولكن الاقزام الصغيرة لا تخرج من باطن الارض الا ليلا . يجب أن تبحث عنها ليلا . واذا رأيت بعضا منها فتعال واخبرنى

- سوف أخبرك

وتركته يحملق وراءها . وكانت طيلة المسافة الى مسكنها تتخيله يبحث عن الاقزام الصغيرة فى الارض ليلا .. وسترتها هذه الصورة الخيالية . فمن يدرى فربما عشر على عالم الاقزام الخفى .. وربما عاش فى هذا العالم .. فيتحدث معهم ، ويفهمهم .. ويفهمونه ! لقد استطاعت بكلمات قليلة موحية أن تضى الخيال على حياته ، وأن تملأها بالترقب والبهجة ، وأن تفصلها عن هذه الحياة الجافة المحيطة به

وفى المساء ارتدى تولارسينو معطفه وحمل الجاروف . وراه بانشو وهو يغادر البيت ، فقال له :

- الى اين أيها الضفدع الصغير !

وتملل تولارسينو وقال :

- اننى خارج فى الليل .. هل هناك ما يمنع ؟

- ولكن لماذا تأخذ الجاروف ؟ هل عثرت على منجم ذهب ؟

وقال الغلام بصوت حازم جاد :

- اننى ذاهب للبحث عن المخلوقات الصغيرة التى تعيش فى باطن الارض

وهنا قال بانشو وقد انزعج :

- اسمع يا ضفدعى الصغير .. انصت الى صديقك العجوز .. الى أبيك فى الله . لا تذهب . لقد عثرت عليك فى البرارى وأنقذتك من أهلك الأبالسة . انك الان أخى فى الانسانية . لا ترجع الى أهلك القاطنين تحت الارض .. أنصت الى صديقك العجوز بانشو ..

وحملق تولارسينو فى الارض وراح يعتصر ذهنه ليفهم دلالة الحديث الذى سمعه ثم قال :

- لقد قلت ان سكان باطن الارض هم أهلى . وهذه هى الحقيقة لانى لست مثل الآخرين فى المدرسة ، وأنا أعرف هذا . اننى اشعر بالشوق الدائم الى أهلى القاطنين فى باطن الارض الرطيب . وأنا أعتنى دائما كلما رأيت جحرا فى الارض أن أدخل فيه واختفى عن عيونكم .. تماما مثل أهلى . ولهذا يجب أن أعود اليهم يا بانشو

وتراجع بانشو عنه وهو يرسم علامة الصليب فى الهواء ويقول :

- اذن عد الى أبيك الشيطان يا ضفدعى الصغير . اننى لا أصلح لمقاومة الشيطان . ان المقاومة تحتاج الى قديس . ولكننى أرسم علامة الصليب لتحفظنى منك .. ومن أهلك .

وابتسم تولارسينو بحزن ، واستدار ومضى نحو التلال

كان قلبه يكاد ينفجر بالبهجة كلما اقترب خطوة نحو أهله . لقد عاش حياته كلها منعزلا ، منبوذا ، اما الان ، فانه يمضى الى عشيرته ، وكان كالمعتاد يسمع هذه الاصوات الصادرة من جوف الليل .. أصداء جرس بقرة من بعيد ، وهممة حيوان صغير ازعجته خطوات تقترب .. وعويل خافت لثعلب صغير جائع ، والاف هذه الاصوات الصغيرة الخافتة المنبعثة من الاف الحشرات

فى جوف الليل • ولكن تولارسينو لم يكن مهتما بهذه الاصوات كلها • وانما كان يهدف سماعه الى اصوات اخرى •• اصوات مخلوقات تسير على قدمين •• وتتحدث بلغة يفهمها هو وتوقف مرة وهتف قائلا :

- أبى •• لقد جئت ••

- ولكنه لم يسمع ردا • وكان كلما رأى حفرة ، هتف فيها :

- يا أهلى وعشيرتى •• أين أنتم ! اننى أنا •• تولارسينو •• عائد اليكم !

ولم يسمع اجابة من أحد •• واسوأ من هذا شعر أن هذه المخلوقات الصغيرة التى ينتمى اليها ، لا تحس بمقدمه • وكذلك شعر انه لا يقترب منهم • لقد كان يدرك أن هناك حمامة تزق صغارها بالقرب منه •• وكان يشعر ان قطا برياً وراءه يتحفز للانقضاض على أرنب غافل • كان يشعر بما يجرى حوله دون أن يرى •• ولكنه ، للآن ، لم يكن يشعر بالاقتراب من أهله وعشيرته

وظهر فى السماء القمر ربيعا ••

وهمس تولارسينو لنفسه قائلا :

- الان سوف تخرج الحيوانات لتأكل وتشرب •• وسيخرج أهلى معهم

ووصل فى مسيره الى مشارف بستان فاكهة كثير الشجر •• وكان بستان برت مونرو • وكان تولارسينو قد اعتاد فى ليلال كثيرة أن يأتى الى مشارف هذا البستان ، ويجلس تحت أشجاره الفواحة بالعير ، ويعيش فى عالم من خياله يلتقط فيه النجوم بأصابعه !

وما ان وصل الى حافة البستان حتى غمره الشعور بأنه وصل الى المكان الذى تعيش فيه عشيرته • وازداد هذا الشعور فى نفسه لحظة بعد أخرى ، ومن ثم راح ينادى عليهم دون أن يسمع مجيباً • وأخيراً قال لنفسه :

- لعلمهم لا يحبون ضوء القمر • ولهذا فهم باقون في بيوتهم
تحت الارض

وراح بجوار شجرة خوخ يحفر • • وحفر حفرة اتساعها ثلاثة
أقدام ، ثم راح يعمقها تدريجا طيلة الليل • وكان يرهف السمع
بين الحين والآخر ، ورغم أنه لم يكن يسمع شيئا ، الا انه كان
يشعر بأنه يزداد اقترابا منهم • ولما انبلج الفجر ، كف عن الحفر ،
وتراجع الى دغل برى حيث رقد لينام الى حلول الليل

وفى الضحى ذهب برت مونرو الى مشارف بستانه ليفتش على
فخاخ الثعالب ، وهناك رأى الحفرة العميقة بجوار شجرة الخوخ ،
فهتف لنفسه :

- ما هذا بحق السماء ! لعل بعض الاطفال كانوا يحفرون نفقا
• • ولكن هذا خطر عليهم • • فربما ينهار فوق رؤوسهم

وعاد الى البيت وحمل جاروفا ورجع الى الحفرة فردمها

وفى البيت قال لابنه الاصغر :

- مانى • • هل كنت تحفر مع أصدقائك نفقا في البستان ؟

- لا • •

- هل تعرف من فعل هذا ؟

- لا

- لقد حفر بعضهم حفرة عميقة في مشارف البستان • وهذا
خطر • قل لاصحابك أن يكفوا عن هذا اللعب الخطير

وجاء الليل • • ومضى تولارسينو الى حفرة • • واستشاط
غضبا حين وجدها مردومة • • ولكنه لم يلبث أن ضحك جذلا وقال
لنفسه :

- ان اهلى هنا • ولكنهم لا يعرفون من حفر هذه الحفرة ، ولهذا
بادروا الى ردمها خوفا على حياتهم • ولهذا سأختبئ قريبا لارايم
وهم يردمونها ، ثم أخبرهم من أنا • • ولسوف يفرحون بى • • !

وعاد تولارسينو يحفر • • وجعل الحفرة هذه المرة أشد عمقا •
وعند الفجر تراجع ليستريح • ولما اشرقت الشمس ، راح يختلس

النظر الى الحفرة ليزى أهله وهم يعودون لردمها

وخرج برت مونرو كعادته فى الصباح لينظر فى حالة فخاخ الثعالب ، ورأى الحفرة مرة اخرى . . وراح يردمها بقدمه ريثما يعود ليأتى بالجاروف ، وسمع زمجرة قريية . وسرعان ما رأى شبعا ينقض عليه بجاروف ثقيل

ولما ذهب جيمس مونرو لينادى على أبيه ، رآه ملقى بجوار حفرة عميقة والدماء تسيل من رأسه ، بينما كان شخص ما يلقي من داخل الحفرة بالطين الى الخارج . وظن جيمس أن ذلك الشخص هو الذى قتل أباه وهو الذى يحفر حفرة ليوارى فيها الجثة

وانطلق عائدا الى بيته واستدعى بالتليفون عددا من الجيران . وما هى غير دقائق حتى كان ثمانية من الرجال يقتربون بحذر من الحفرة . وقاومهم تولارسينو بقوة الاسد الجريح ، ولم يستطيعوا التغلب عليه الا بعد أن ضربوه على رأسه بجاروفه . ثم قيده وحملوه الى السجن

وفى مدينة ساليناس اجتمعت لجنة من الاطباء لفحص الغلام ولتوجيه الاسئلة اليه . وكان الغلام لا يرد على الاسئلة ويكتفى بابتسامة بلهاء ، وقال فرانك جوينر ما يعرفه عن الغلام وطلب أن يسلم اليه ليكون تحت رعايته

ولكن رئيس اللجنة قال :

- هذا غير ممكن يا مستر جوينر . انك تقول ان الغلام كان طبيبا هادئا . ولكنه حاول أمس أن يقتل مواطنا . ومن المحتمل أن تنتهى محاولته مرة أخرى الى جريمة قتل كاملة . ولهذا لا يسعنا الا التوصية بحجزه فى مستشفى الامراض العقلية بمدينة نابا !

لا أريده حيوانا

كان جونيوس مالبي شابا في مقتبل العمر ينحدر من أسرة طبية ويتمتع بميل غريزي نحو الثقافة والاطلاع . ولما مات أبوه مفلسا ، وجد نفسه مضطرا للعمل كاتبا في إحدى الشركات لمدة خمس سنوات

كان يعود من عمله الى غرفته المفروشة منهوك القوى . ولكنه كان يقضى نصف الليل في قراءة الادب العالمي ، ومن فرط إعجابه بقصة « رحلات مع حمار » لستيفنش ، قرأها عدة مرات . وفي ذات ليلة ، وهو يقترب من السادسة والعشرين من عمره . سقط مغشيا عليه امام باب غرفته المفروشة . وفحصه أحد اطباء ، وقال له مشقفا :

— ان هواء المدن لا يناسب صدرك الضعيف . اذا لم تعش في الريف ، فان حياتك لن تطول

وشعر جونيوس بالبهجة لما سمع . . . لقد وجد المبرر السني جعله يقطع هذه الاربطة الخفية التي تشده الى المدينة ، ويبحث عن مكان هادئ في الريف يبدأ فيه الحياة من جديد

وكانت كل مدخراته لا تتجاوز خمسمائة دولار ، وسأل بعض زملائه عن مكان ريفي يعيش فيه ، ونصحه البعض بالذهاب الى الوادي الاخضر ، أو جنة السماء ، حيث تطيب فيه الحياة لأمثاله .

وأعجبه الاسم ، واعتبره فألا حسنا في كلتا الحالتين : في الحياة جنة ، وفي الممات جنة . ومن ثم لم يتوان في جمع حاجاته البسيطة ، والاسراع الى الوادي الاخضر ليقيم في غرفة مفروشة مع إحدى الأسر

وكان بالوادى بضع عائلات تؤجر غرضا مفروشة فى مزارعها .
وبعد أن قام جونيوس مالى بجولة فيها ، وقع اختياره على غرفة
مفروشة ملحقه بمنزل صغير لأرملة فى منتصف العمر تدعى
المسنز كويكر

وكانت للمسنز كويكر مزرعة صغيرة يمر بها جدول رقيق ،
وتجف بها أشجار وارفة الظلال ، ويعمل فيها أجير مكسيكى

ولم يمض على جونيوس غير شهرين حتى بدا كأنه ولد من جديد
فقد تحول وجهه الشاحب الى حمرة وردية تنم عن الصحة والعافية ،
وامتلاء جسمه النحيل واستقام عوده ، وأكثر من هذا كان جونيوس
سعيدا بحياة الكسل والرفاهية والوقت الطويل الذى كرسه
 للقراءة والاطلاع واعادة قراءة « رحلات مع حمار » مرة بعد أخرى

وبلغ من وفرة صحته أنه لم يعد فى حاجة الى نظارة بعد أن
صححت عيناه وزال عنهما الضعف . وكان يقضى سحابة نهاره
جالسا على ضفة الجدول مدليا قدميه الى مياهه الباردة ، مستمتعا
بالظل الوارف ، والهواء المنعش والشذى المنساب من كل شئ
حوله ، والكتاب الذى يحمله على أجنحة الخيال الى كل مكان فى
الدنيا

ولكن المسنز كويكر ، وكانت سيدة متوسطة الجمال ، طيبة
القلب ، بدأت تشعر بالحرج مما قد يقوله جيرانها وهى تعيش فى
مكان واحد مع شاب أعزب يصغرها بخمسة أعوام . وفاتحته فى
الامر . . وأدرك الهدف الذى يكمن فى حديثها . . ورحب به لانه
كان يتمنى هذا فى قرارة نفسه ، وسرعان ما تم زواجهما ،
وأصبحت المسنز كويكر . . المسنز مالى .

وشعر جونيوس أن الحياة ابتسمت له أخيرا . . وانه قد صار
فى مقدوره أن ينعم بها مستريحا خاليا من أى قلق على لقمة
العيش ، مطمئنا الى بيت دائم يأوى اليه كلما أراد . .

لم يكن يهمه نوع الطعام الذى يأكله ، أو قيمة الرداء الذى
يلبسه . . حسبه أن يجد ما يطرد عنه الاحساس بالجوع ، وما

يستر جسمه • وفيما عدا هذا فليس يهمه الا أن يجلس متراخيا على مقعده الهزاز في البيت أو على ضفة الجدول تحت ظل شجرة وارفة ، والكتاب بين يديه

ورأت المسز مالبي أن تستفيد من زوجها الشاب ، فأعفت العامل المكسيكى من العمل ، وطلبت من جونيوس أن يحل محله فى رعاية المزرعة وفلاحتها واستثمارها ، كما يفعل معظم أصحاب المزارع الصغيرة فى الوادى

ولكن جونيوس كان قد اعتاد الكسل ، وأحب المزرعة والوادى كما هما • فلم يكن يهمه أن يرى نباتات جديدة تظهر ، أو أن يعزق الارض ويقلب كل شئ رأسا على عقب • ولهذا فقد ذهلت زوجته حين وضعت فى يده منجلا وطلبت منه أن يعمل فى الحديقة ، فلما عادت اليه ظهرا ، رآته جالسا والمنجل بجواره والكتاب بين يديه ، مستغرقا فى قراءته

وبدأت فى أول الامر تثيره وتلومه على كسله وتقارن بينه وبين غيره من أصحاب المزارع فى الوادى ، ولكنها لم تلبث أن أدركت أنه لم يكن ينصت الى كلمة من أقوالها ؟ وكان يقول معذرا انه لا يليق - تأدبا - أن ينصت الانسان الى سيدة حين تخرج عن طورها ، تماما كما لا يليق أن ينظر الانسان محملا فى رجل مقعد

ويئست المسز مالبي منه • وبدأت هى أيضا تهمل بيتها • ونفسها وتصفيف شعرها • وفى خلال خمس سنوات ازدادت أحوالهما سوءا • أطل شبح الفقر عليهما ، وتمزقت ملابسهما ، واقتصرت طعامها على القليل من الفاكهة البرية والخضر التى كانت المسز مالبي تزرعها فى جزء من الحديقة • ولكن جونيوس كان سعيدا بما يستعيره من الكتب فى المكتبة العامة ، وكانت سعادته كلما وقع فى يديه كتاب من نوع « مغامرات فى القارة »

وفى نهاية العام الرابع من الزواج شعرت المسز مالبي بأنها حامل • وما كادت تنتهى أشهر الحمل حتى وضعت طفلا ثم ماتت

بعد الوضع بثلاثة أيام

وأذاعت السيدة الجارة التي ساعدت في عملية الوضع أن الزوج جونيوس كان جالسا على ضفة الجدول مستغرقا في قراءة كتاب وزوجته تحتضر

وبلغ الغضب باحدى الجارات اللاتي كن يتناوبن ارضاع الطفل أن ذهبت الى جونيوس وهو جالس تحت الشجرة وأرغمته على الوقوف ثم ألقت بالطفل بين يديه وراحت توجه اليه ألذع الكلمات وأسوأ الصفات . ولما فرغت نظرت اليه فرأته مستديرا بظهره نحوها وقد حمل الطفل الوليد الصارخ بين ذراعيه وعلى وجهه امارات الانسان الذى لا يدري ماذا يصنع بهذا الذى يحمله

وتناقل سكان الوادى أقاصيص كثيرة عن جونيوس . وكانوا أحيانا يكرهونه كراهية الناس المجتهدين المكافحين للرجل الكسول وأحيانا أخرى كانوا بحسبونه على كسله وقناعته ورضاه بالقليل مع استمتاعه بهذا الترف النادر . . ترف الانسان الحر الذى يقضى كل أوقاته حسب رغبته ومزاجه . وفى أحيان أخرى كانوا يشفقون عليه ويرثون له ويرونه انسانا مسكينا . ولكن أحدا منهم لم يدرك يوما أن جونيوس كان سعيدا جدا فى حياته

وتحدثوا عنه متندرين فقالوا انه ذهب - بناء على رأى الطبيب - لشراء عنزة يستخدم لبنها فى اطعام الطفل الوليد الذى سماء روبي، ولكنه اشترى بدل العنزة جديا وهو لا يعرف الفرق بين الاثنين . ولما لم يجد فى الجدى لبنا أعاده الى البائع قائلا :

- هل هذه العنزة طبيعية

- انها جدى وليست عنزة

- ولكننى لم أجد فيها لبنا لاطعام ابنى الوليد !

وضحك البائع وأعطاه فنزة ذات ضروع . ولكن جونيوس ظل يوما كاملا وهو لا يدري كيف يستدر اللبن من ضروعها ، ولما أعادها للبائع مرة أخرى ، علمه كيف يحصل على اللبن منها

وكان بعض سكان الوادى يقسمون بأنهم كثيرا ما رأوه وهو يضع

فم الطفل فى احدى حلمات ضروع العنزة ويتركه يرضع حتى يرتوى
ورغم أن هذا كله كذبا وافتراء ، إلا أن سكان الوادى لم يكونوا
يعرفون على وجه اليقين كيف كان هذا الوالد العجيب يربى ابنه .

وفى ذات يوم ذهب جونيوس الى مدينة مونتريرى واستأجر رجلا
ألمانيا عجوزا ليساعده فى العمل بالمزرعة . وأعطى العامل الجديد
خمسة دولارات تحت الحساب . ولكنه لم يعطه بعد ذلك شيئا
لسبب بسيط ، وهو أن العامل الجديد لم يلبث بعد أسبوعين أن
تعلم الكسل من مخدمه ، وأصبح الاثنان يجلسان تحت هذه
الشجرة أو تلك ، أو على ضفة الجدول ويتناقشان فى الامور التى
تغم عليهما ، مثل كيف تكتسب الزهرة ألوانها ، وهل هناك تناسق
فى الطبيعة ، وأين تقع قارة الاطلانتس ، وكيف تحنط قبائل الانكاس
جثث موتاهم . . . !

وكانا فى الربيع يزرعون البطاطس متأخرين عن موعد الزراعة
دائما ، ولم يكونا يحاولان العناية به بعد ذلك . . . وكذلك كانا
يزرعان فى الارض حبوب القمح والشعير والفول ثم يتركانها للطبيعة
ترعاها . . . وهكذا كانت الاعشاب البرية تزحف على كل شئ وتغطي
كل شئ ، ولكن كان من المناظر المألوفة رؤية جونيوس أو عامله
جاكوب ستانز وهما يدخلان فى دغل من الاعشاب ثم يخرجان
ومعهما خيارتان أو ثلاث كبيرة باهتة اللون

وأقلع جونيوس عن ارتداء الاحذية ، لأنه كان يفضل المشى حافيا
على الارض الحانية ، ولأنه لم يكن لديه حذاء يرتديه

وفى العصارى كان يجلس الى عامله جاكوب ستانز ويتحدث معه
الساعات الطوال . وكان يقول له بين الحين والآخر :

- أتعرف كيف كان شعورى عندما ماتت زوجتى . لقد شعرت
أولا بالفزع ، ثم تحول الفزع الى حزن عميق ، وتحول هذا الى أسف
والواقع أنى لم أكن أعرف زوجتى جيدا ، ربما لانى كنت قريبا منها
جدا ، والانسان لا يستطيع أن يحسن رؤية الشئ القريب منه . أو
يبدو أن لبعض الناس ذهنا طويل الرؤيا ، وأن لبعضهم الآخر ذهنا

قصير الرؤيا .. الواضح أنني من ذوى الازدهان البعيدة الرؤيا ..
فمثلا أنا أعرف عن البارثنون أكثر مما أعرف عن بيتى هذا ؟
وفجأة تتألق عينا جونيوس ويرن الحماس فى صوته وهو يقول ،
لصاحبه :

- جاكوب .. هل رأيت البارثنون ؟

- نعم .. رأيت صورة سياحية له .. انه بناء رائع
ويضع جونيوس يده على ركبة صاحبه ويقول متحمسا :

- ان تماثيل الجياد فيه تدل على أنها سعيدة .. ولا بد أن النحات
الذى صنعها كان يشعر باحساس الجياد ، وألا لما رسمها على
هذا النحو !

وهكذا كان جونيوس ينتقل من موضوع الى موضوع . وكان
الرجلان كثيرا ما يقضيان اليوم كله جائعين لانهما عجزا عن اصطيد
أرنب برى أو طائر أو كمية من السمك أو العثور على مخبأ بيض
احدى الدجاجات أو البط البرى

وفى هذا الجو أخذ الطفل روبى واسمه الحقيقى روبرت - ينمو
فى سميت جاد لا يعرف عبث الطفولة وحلاوتها . وكان يتبع بساقيه
الصغيرتين ، الرجلين أينما ذهبا ، وينصت الى مناقشاتهما ، ولم يكن
جونيوس يعامله على أنه طفل صغير ، لانه لم يكن يعرف كيف يعامل
الاطفال الصغار . فكان روبى اذا أبدى ملاحظة ما ، أنصت الرجلان
اليها باهتمام ، بل اعتبرها أحيانا بذرة موضوع جدير بالبحث ،
وسرعان ما يتتبعان هذا الموضوع فى الموسوعة البريطانية المستعارة
من المكتبة العامة

وهكذا كان الطفل يعيش مثلهما ، مهلهل الثياب ، حافى القدمين
يتحدث كالرجال ، لانه لم يعرف كيف يتحدث الاطفال . وكان
الرجلان لا يختاران عادة موضوعا للحديث ، وانما يتحدثان فى أى
شئ يخطر ببال أحدهما ثم يتركان المحادثة تتفرع وتتفرع حتى
يدهشهما المحصول النهائى لمحادثة بدأت بعبارة صغيرة ، فمثلا كان

جونىوس حين يجلسون تحت شجرة سرو وارفة الظلال على ضفاف
الجدول :

- أعتقد أن أشجار السرو من الاشجار الطيبة

ويرد عليه جاكوب قائلا :

- نعم .. انها تنمو بجوار الماء . والاشياء الطيبة تحب الماء . أما
الاشياء الرديئة فتحب الجفاف
ويقول جونىوس :

- ان شجرة السرو طيبة وكبيرة ، ولابد أن يكون الشئ الطيب
كبيرا ليعيش مدة طويلة . أما الاشياء الصغيرة فكثيرا ما تدمرها
الاشياء الشريرة . وقلما تجد الاشياء الكبيرة سامة أو غادرة ، ولهذا
فان تفكير الانسان يرتبط دائما بأن الشئ الكبير طيب والشئ
الصغير خبيث ، أتدرك هذا يا روبى ؟

ويقول الطفل روبى :

- نعم .. مثل الفيل

- ان الفيل شرير أحيانا ، ولكننا حين نفكر فيه ، نذكره دائما
بالخير والطيبة

ويقول جاكوب :

- والماء .. ما رأيك فى الماء

- الماء هو بذرة الحياة .. والارض هى الام .. والشمس هى
الصانع الذى يساعد الحياة على النمو ..

وعلى هذا النحو تمضى ثرثرتهم ويستمر لغوهم فى الحديث حتى
يعودوا الى البيت جائعين أحيانا ، ولكنهم سعداء

وكان سكان الوادى قد نفروا من جونىوس بعد وفاة زوجته ،
وظل نفورهم منه يزداد حتى كادوا ينسون وجوده فى الوادى .
وبينما كان معظم أصحاب المزارع ينجحون ويتطورون ويشتررون
السيارات ويذهبون الى دور السينما فى مونتريرى بمعدل مرتين
فى الاسبوع ، كان جونىوس يزداد انحدارا واملاقا وجوعا ، بل
كان لا يجد ثمن شفرة يحلق ذقنه أو ذقن صاحبه جاكوب . وهكذا

كان الاثنان والطفل يعيشون حياة بدائية فى قلب مجتمع متحضر

ولم يكن جونىوس يعزف شيئا عن مشاعر سكان الوادى نحوه
•• ولم يحاول يوما أن يهتم بمشاعرهم ، وانما كان يعيش سعيدا
غاية السعادة بحياته الرومانسية راضيا كل الرضا عن جلساته
تحت الشجر الوارف الظلال ، وعلى ضفاف الجدول قانعا بما يسد به
رمقه من ثمار الطبيعة ، سعيدا بما يقرؤه من كتب ، وبما يتحدث به
مع صاحبه جاكوب وابنه روبى

ولكن سكان الوادى كانوا يعطفون على الصبى • وكانت السيدات
يتبادلن الحديث عن قسوة الحياة التى ينمو فيها الطفل ، ولكن
واحدة منهن لم تحاول أن تتدخل لمصلحة الصبى ، لان آداب السلوك
لا تسمح لاحد أن يتدخل فى شئون غيره !

وكانت المسز بانكس تقول لضيقاتها فى قاعة الاستقبال :

- انتظرن حتى يبلغ الصبى سن الالتحاق بالمدرسة • اننا الان
لا نستطيع أن نفعل شيئا ، ولكن بمجرد أن يبلغ الصبى السادسة
من عمره ، فسوف نتدخل فى شئونه بحكم القانون

وكانت المسز اللين زوجة صاحب المتجر ، تغض عينيهما وتقول :

- يجب ألا ننسى أنه ابن صديقتنا الراحلة ماني كويكر •• وكان
يجب أن نرعاها اكراما لذكرها •• ولكن •• لقد اقترب من
السادسة ، وعندما يلتحق بالمدرسة سوف نقدم له أشياء لم يرها
فى حياته

وأومات سيدة أخرى برأسها وقالت :

- ان أقل ما يجب أن نقدمه ، بعض الملابس التى تغطى جسمه
الصغير

ولاح كان الوادى كله كان يتربص فى انتظار الوقت المناسب
لالتحاق روبى بالمدرسة ، ولكن عندما افتتح الموسم الدراسى بعد
بلوغ روبى السادسة ، دون أن يظهر الصبى بين التلاميذ الجدد ،
كتب جون هوايتسيد ، سكرتير المدرسة خطابا شديد اللهجة
الى جونىوس مالبى يذكره بواجباته نحو ابنه ، وقال جونىوس

لروبي بعد أن قرأ عليه الخطاب :

- اننى نسيت هذا الامر يا روبى . أعتقد أنه يجب أن تذهب الى المدرسة .

وقال روبى :

- اننى لا أريد أن أذهب

- نعم . وأنا لا أريدك أن تذهب أيضا . ولكن القانون يجب أن يطاع . والقانون يحمى نفسه بالعقوبات ، وعلينا أن نوازن بين الاستمتاع بالخروج عن القانون ، وبين احتمال عقوباته . وقد كان القرطاجينيون يعاقبون حتى على سوء الحظ . وإذا خسر أحد القواد معركة بسبب سوء الحظ ، فإنه يحاكم ويخيل لى أن هذا ما يحدث الان . لاننا نعاقب الانسان الذى يكسر القانون بسبب ظروف خارجة عن ارادته .

ونسى جونيوس أمر المدرسة فى غمرة المناقشة التى تفرغت بعد ذلك ، ولكن خطابا آخر وصل اليه وجعله يقول لروبي :

- أعتقد أنه لا بد من ذهابك الى المدرسة يا روبى ، انهم سيعلمونك هناك أشياء كثيرة . عظيمة . . ومفيدة

فقال روبى فى رجاء :

- ولماذا لا تعلمنى أنت يا أبى ؟

- أوه . . اننى لا أستطيع . . لانى نسيت الاشياء التى يعلمونها للصغار .

- اننى لا أريد أن أذهب . . لا أريد أن أتعلم تلك الاشياء

- نعم . . نعم . . ولكن الامر ليس بيدنا . . لا بد لك من الذهاب

وهكذا ذهب روبى الى المدرسة ذات صباح . وكان مرتدبا بذلة عمالية قديمة ممزقة عند الركبتين ، ولا شئ غير هذا ، وكان شعره يتهدل على جبينه كأنه عرف مهر صغير

وتحلق التلاميذ حوله وشرعوا ينظرون اليه فى صمت . وكانوا جميعا قد سمعوا من أهليهم عن فقر والده وكسله الشديد . وكانوا يترقبون هذه اللحظة ليتخذوا منه اداة للعبث واللهو

والتعذيب ، وها هي ذى اللحظة قد حانت ، ها هو ذا روبى واقف بينهم • ولكن أحدا منهم لم يجرؤ على أن يقول له :

– من أين اتيت بهذه الملابس الفاخرة

أو ••

– انظروا الى شعره !

أو ••

– لا شك أنه أنظف تلميذ فى المدرسة

لم يستطع أحد منهم أن يقول شيئا مما كانوا ينوون أن يقولوه •• وقد دهشوا من صمتهم وعجزهم عن تعذيبه

أما روبى فقد وقف يبادلهم النظرات بثبات عجيب ، ودون أدنى خوف منهم • وأخيرا قال لهم :

– ألا تلعبون شيئا • لقد قال أبى ان لديكم ألعابا كثيرة ممتعة

وهتف التلاميذ وقد انطلقت ألسنتهم :

– انه لا يعرف لعبة من ألعابنا •• هلم نعلمه عسكر وحرامية •• أو الجواسيس أو الاستغماية •• أو الافضل •• هلم نلعب معه الابيض والاسود

واخذ التلاميذ يتسابقون لتعليمه بعض ألعابهم ، ولم يلبث الصبى أن أصبح موضع اهتمامهم ورعايتهم ، وكان تأثيره عليهم مدهشا •• فقد تركه التلاميذ الكبار وشأنه •• أما الصغار أمثاله فكانوا يحاولون أن يقلدوه فى كل شيء ، حتى فى تمزيق البنطلونات عند الركبتين ليكونوا مثله

وكانوا حين يجلسون للطعام فى الظهيرة ، يجعلون ظهورهم الى جدار السور ويرهقون أسماعهم الى حديثه عن أبيه وعن الجلسات الممتعة على ضفاف الجدول وتحت الاشجار الكبيرة • وقد بلغ من انبهار التلاميذ بأحاديثه أن راحوا يحسدونه ويتمنون لو كان لهم والد مثل والده

وأخذت المس مورجان ، المدرسة ، تهتم بأمر روبى بعد أن أثار

الحقل الخلفى لبيتنا وأن ترسلوا أصواتا مثل صوت الشعب ..
وسوف أحضر لاقودكم لانقاذ الرئيس المسكين ..

وكان روبى قد دبر هذه اللعبة الجديدة بالاشتراك مع والده
والعامل العجوز جاكوب

وكانت المس مورجان قد قررت أن تذهب لمقابلة جونيوس ، والد
روبي ، وشاءت الصدفة أن تقرر هذه الزيارة فى ذلك اليوم -
السبت - الذى تحدد فيه موعد القيام بهذه اللعبة .

وسارت فى الطريق الى مزرعة مالبى التى كانت تقع على مسافة
ميلين من مسكنها ، فى منطقة تسمى خورجاتو أماريللو . وكان
ثمة جدول يجرى بجوار الطريق . وكان الجو باردا فى الخور ،
لان الشمس لم تكن قد ارتفعت بعد . وخيل الى المس مورجان ،
وهى تسير - أنها سمعت وقع أقدام وراءها أو حولها ، وأصواتا
مختلفة خافتة . ولكنها لم تكن ترى شيئا كلما تلفتت حولها ، ورغم
هذا كانت ترى الاعشاب الطويلة بين الحين والآخر تتحرك وتتكرر
كأن هناك من يختبئ وراءها ..

ورغم أن المس مورجان لم تكن قد رأت مزرعة جونيوس من قبل
الا أنها عرفتتها فورا حين وقعت أنظارها عليها . لقد أدركت أنه لايمكن
أن تكون هناك فى الوادى كله مزرعة مهملة كهذه .. كان سياجها
قد تهاوى الى الارض ، والاعشاب والنباتات البرية تزحف عليها من
كل ناحية ، وأعواد الكروم البرية تتسلق أشجار التوت والشليل
والتفاح ، العصافير والارانب تنطلق هنا وهناك كأنها فى مكان
مهجور . وأخيرا رأت المس مورجان سقف بيت جونيوس .. السقف
المكسو بالنباتات المتسلقة ومختلف أنواع الاعشاب الجافة ، وكان
البيت يبدو ساكنا موحشا كأن أحدا من الناس لا يقيم فيه منذ
مائة عام

وقالت لنفسها : كم يبدو البيت مهجورا .. ولكن .. ما أجمل
الهدوء السابغ على كل شيء

واجتازت بوابة مهدمة ، ودارت الى منعطف الحديقة الخلفية

فضولها بسلوكه وأحاديثه التي كانت تختلف أشد الاختلاف عما ألفته من أحاديث وسلوك الصغار أمثاله . وكان الصبي رائعا فى القراءة قادرا على استخدام التعبيرات الرجالية ، ولكنه لم يكن قادرا على الكتابة . وكذلك كان لا يحسن العمليات الحسابية البسيطة رغم اتقانه للارقام والعد . واستطاع روبى أن يتعلم الكتابة بمشقة بالغة . . .

ولما رأت الصبي يردد عبارة تنم عن الحكمة والثقافة وسعة الاطلاع سألته عن مصدرها ، فقال انه تعلمها من أبيه . وكانت المس مورجان قد سمعت الشئ الكثير عن مساوىء هذا الادب ورغم هذا كانت ترى أن من حقه أن يعيش بالاسلوب الذى يرضيه ، وليس لاحد ، أيا كان ، أن يتدخل فى أسلوب معيشته طالما أنه لا يؤذى أحدا . . .

ولما عرفت بعض الحقائق عنه من ابنه ، اشتدت رغبتها فى مقابلته والتعرف عليه .

وظلت هذه الرغبة تراودها دون أن تتحقق . . . ومرت الاعياد ، وابتدأ الربيع يبتسم للعالم . وكان روبى قد أثبت مكانه بين زملائه حتى أصبح الكثيرون منهم يكرهون ارتداء الاحذية ، ويسرون مثله حفاة .

وأكثر من هذا نشر روبى فى الوسط المدرسى « مودة » جديدة . وهى أنه ليس من الرجولة ارتداء الملابس الجديدة النظيفة ، السليمة بل ان ارتداء مثل هذه الملابس يعتبر اهانة لروبي .

وكان روبى قد استنفد جميع الالعب المختلفة المعروفة فى الاوساط المدرسية ، حتى لعبة « الجواسيس » . وأخيرا فكر روبى فى لعبة جديدة ، ولم يلبث أن أرسل أربعة عشر خطابا لاربعة عشر تلميذا من أصدقائه ، كتب فى كل خطاب ما يلى : « ان جماعة من الهنود سوف يحرقون رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية بعد أن يشدوه الى عمود . . . وسيتم التنفيذ فى حديقة بيتنا فى تمام العاشرة من صباح الغد - السبت - وعليكم أن تتسللوا الى

ولما سمع نباحا يأتى من أماكن مختلفة حول البيت ، قال :

— هذه هى النجدة تتجمع • معذرة يا مس جوردون •• اننى
آسف •• لم أقدم اليك نفسى •• اننى جونيوس مالبي • وهذا
السيد ، فى الاوقات العادية ، هو جاكوب ستانز •• أما الان ،
فالمفروض أنه رئيس الجمهورية ، وأنا أحد الهنود الحمر ، سأشعل
النار تحته لاحتراقه •• ثم تأتى النجدة العسكرية لانقاذه •

وقال جاكوب بصوت لا يخلو من القلق :

— أرجو ألا ينتهى الامر بحرق ساقى !

وضحكت المس مورجان قائلة :

— هل تسمحان لى برؤية عملية الانقاذ يا مستر مالبي !

— اننى لست مالبي الان •• وانما المفروض أن أكون ثلاثمائة
هندي أحمر •

وعادت أصوات النباح •• وقال جونيوس :

— اذهبى الى السلاالم يا مس جوردون حتى لا يحسبك جنود
الانقاذ احدى الهنديات الحمر فينقضوا عليك •

ونظر الى أعواد النبات البرى بالقرب من الحديقة ثم قال وهو
يشعل عود ثقاب فى كومة الحطب :

— لقد وصلت جماعة الانقاذ فى الوقت المحدد •

وما كادت السنة النار تندلع حتى ارتفعت صيحات التلاميذ فى
الجو ، واذا هم ينقضون على النار فيخمدونها ، ثم يفكون قيود
« الرئيس » واذا هو يقف محررا سعيدا لانقاذه من « الموت » • ثم
وقف التلاميذ طابورا ورفعوا أيديهم بالتحية العسكرية ، بينما
راح جاكوب « الرئيس » يشبث على صدر كل واحد منهم قطعة صفيح
محفورا عليها كلمة « بطل »

وانتهت اللعبة • وقال جونيوس :

— فى السبت القادم سوف تقيم المحاكمة للهنود الخونة وتنفذ
فيهم الاحكام الصادرة عليهم •

وصاحت فرقة الانقاذ :

ثم توقفت فى مكانها وهى تأبى أن تصدق عينها •
فقد رأت فى وسط الحديقة الخلفية عمودا قائما فى الارض وقد
شد اليه رجل عجوز بجبل التف حوله بضع مرات •

وكان هناك رجل اخر أصغر منه سنا وحجما ، ولكن يماثله فى
الملابس المهلهلة واللحية المتهذلة • وكان يجمع عند قدمى الاسير
كومة من القش والحطب • وارتعدت المس مورجان وتراجعت وهى
تقول لنفسها :

— لا لا لا • لا يمكن أن يكون ما أرى صحيحا •• ان هذا لا يحدث
الان • لاشك أننى أحلم •

ولشد ما دهشت حين سمعت الحوار التالى يدور بهدوء بين
الرجلين :

قال الجلاد :

— ان الساعة تقترب من العاشرة •

— رد الاسير قائلا :

— نعم •• ولكن كن حذرا فى وضع كومة الحطب ولا تشعل النار
الا حين تشعر باقترابهم منا •

وفهمت المس مورجان كل شىء ، وتنهدت بعمق ، وتقدمت الى
الحديقة بخطوات مترددة •• ورآها جونيوس وأطلت الدهشة
من عينيه • ولكنه انحنى لها مرحبا • وكانت انحناءته جميلة رغم
لحيته المشعثة وملابسه المهلهلة •

وقالت المس مورجان بأنفاس متقطعة :

— اننى مدرسة المدرسة •• كنت أقوم بجولة فى هذه المنطقة
ورأيت البيت • وقد حسبت برهة أن ما يجرى الان حقيقة
وليس لعبا !

فابتسم جونيوس وقال :

— ولكن المسألة بالنسبة للأطفال جد أكثر مما تتصورين • وقد
ظننت حين سمعت وقع أقدامك أنك النجدة • ان النجدة منتظرة فى
الساعة العاشرة تماما •

— لماذا لا نحاكمهم الان نشنقهم ؟

وقال روبى :

— لا يارجال • فهناك أشياء يجب أن نעدها أولا • يجب أن نقيم
المشائق

ثم استدار الى أبيه وأردف قائلا :

— اعتقد أننا يجب أن نشنقك أنت والمس جوردان

وكان ذلك الاصيل من أجمل الاصائل التى عاشتها المس جوردون
فى حياتها • فرغم أنها وضعت فى مكان الشرف تحت شجرة السرو
فقد أخذ الغلمان يعاملونها كواحد منهم ، وليس كمدرسة الفصل •
ودعاها روبى قائلا :

— من الافضل أن تخلعى حذاءك وتدلى قدميك فى الماء البارد

وراحت تنصت — وهى تعبت فى الماء بقدميها — الى أحاديث
جونىوس عن مجتمعات أكلة اللحوم البشرية بين قبائل اليوتيان
الهندية ، وتحدث عن المرتزقة فى جيش قرطاجنة • وتحدث عن
كيفية صنع المكرونة وعن نشأة صناعتها ، وعن اكتشاف مناجم
النحاس ، وكأنه كان هناك • ولما راح جاكوب يعارضه فى نظرية
الخروج من الجنة ، احتدمت المناقشة ، وتفرق الاولاد الى بيوتهم •

وانصرفت المس جوردون وراءهم ، وسارت بمفردها فى غسق
المساء تفكر فى حياة جونىوس وتوازن بين هذا اللون من الحياة
البدائية فى حضن الطبيعة وبين حياة الرجل المتحضر الذى لا يكاد يجد
وقتا لالتقاط أنفاسه •

وكان اليوم المخصص لزيارة مجلس ادارة المدرسة من الايام
العصيبة فى حياة المدرسة والتلاميذ معا • كان من الايام التى يتعثر
فيها التلاميذ ويخطئون أكثر جدا مما يفعلون فى الايام العادية

وقام مجلس الادارة بالزيارة فى ظهر يوم من أيام ابريل ، وتوافد
الاعضاء بعد الفراغ من طعام الغداء ، الواحد بعد الآخر ، ترتبم على
وجوههم سمات الجد المزوج بشئ من الخجل ، وكان أول الوافدين

جون هوايتسيد ، سكرتير مجلس الادارة ، بشعره الابيض ووجهه الهادى . وبعده جاء بات هامبرت الذى انتخب عضوا بالمجلس لانه اراد هذا . وكان شابا وحيدا يحاول جاهدا أن يجد لنفسه مكانا طيبا فى مجتمع الوادى الاخضر ، ثم وفد المستر أللين صاحب المتجر العام الذى نال العضوية بحكم مركزه كصاحب المتجر الوحيد فى الوادى ، ثم أقبل المستر ريموند بانكس بجسمه الضخم ووجهه المرح وذراعيه الكبيرتين ، وأخيرا برت مورنو العضو الجديد بالمجلس والذى كانت تلك أول مرة يزور فيها المدرسة رسميا

ولما جلس الاعضاء بمهابة وأبهة ، أقبلت زوجاتهم وجلسن فى الناحية الخلفية من الفصل . وهكذا وجد التلاميذ أنفسهم محاصرين من الامام ومن الخلف ، وبهذا انقطعت كل وسائل الهرب ، لو اراد احدهم أن يهرب من هذه المحنة

ولكن اللقافة الكبيرة التى كانت المسز مورنو تضعها على حجرها لفتت أنظارهم واثارت فضولهم رغم اضطراب أعصابهم وبدأت المسز جوردون الدرس بابتسامة مغتصبة وقالت بعد أن رحبت بالزائرين :

- اننا لن نغير منهجنا المعتاد فى التدريس أيها السادة ، وأعتقد أنه يسركم أن تشاهدوا كيف يتلقى التلاميذ الدرس كالمعتاد كل يوم . . .

وتمنت بعد قليل لو أنها لم تقل هذا . لان التلاميذ راخوا يخطئون ويتعشرون بطريقة لم يسبق لها مثيل . كان هجاؤهم رهيبا ، وقراءتهم مزعجة واستجابتهم للفهم فى الحضيض . وتقصد العرق من جبين المسز جوردان ، وتخيلت خطاب الفصل آتيا اليها لا محالة وكانت الزوجات فى الخلف يبتسمن بعصبية ، ومر الوقت بطيئا . . . ولما انتهى درس الحساب كأسوأ ما يكون ، نهض جون هوايتسيد وقال :

- شكرا يا مسز مورجان . اذا سمحت فسوف أوجه حديثا موجزا للتلاميذ ، ويمكنك بعد ذلك أن تصرفيهم . ان من حقهم أن نشكرهم

على احتمالهم هذه الزيارة

وتنهدت المس مورجان بارتياح ثم قالت :

- اذن فأنت تدرك يا مستر هوايتسيد أنهم لم يبذلوا كل ما في مقدورهم عند الاجابة ! اننى سعيدة بادراكك لهذه الحقيقة

وابتسم جون هوايتسيد الذى شهد الكثير من هذه المواقف وقال :

- لو كنت أعرف أن هذه هى كل امكانيات التلاميذ لاغلقنا المدرسة .

ثم ألقى كلمته التى اعتاد أن يلقيها فى مثل هذه المناسبة سنووات طوالا ، وطلب من التلاميذ أن يحبوا مدرستهم ومدرستهم ، وأن يضاعفوا الجهد فى تحصيل العلم . ولما فرغ ، طلب من المدرسة أن تأمر بانصرافهم

وأخذ التلاميذ ينصرفون فرادى فى هدوء وارتياح .. ولما وصلوا الى الفناء ، انطلقوا فى ضجيج هائل وصخب شديد

وصافح جون هوايتسيد المس مورجان باسمها وقال لها :

- ثم يسبق أن استطاعت مدرسة أن تحكم الفصل كما تفعلين .
ولست أدري هل تعرفين الى أى مدى يحبك التلاميذ ويحترمونك ؟
فقالت فى اصرار :

- ولكنهم تلاميذ طيبون .. نعم .. طيبون جدا

فوافقها هوايتسيد قائلا :

- نعم .. نعم .. انهم كذلك .. وبهذه المناسبة كيف حال ابن جونيوس مالبى فى المدرسة !

- انه صبي متوقد الذكاء .. وعجيب .. نعم .. ان له ذكاء حادا

- لقد كنا نتحدث عنه فى اجتماع مجلس الادارة يا مس مورجان .. ولا شك أنك توافقيننا على أن حياته المنزلية ليست كما ينبغي .
وقد لاحظته بوجه خاص اليوم .. ان المسكين يكاد يكون عاريا من الثياب

وشعرت المس جورجيان أن عليها أن تدافع عن جونيوس لسبب غامض ، فقالت :

– نعم .. ان بيتا يثير التساؤل والعجب . ولكنه ليس رديئا
أو سيئا ..

– أرجوك أن تفهمي غرضي يا مس جورجان .. اننا لا نريد أن
نتدخل في شئون الغير . ولكننا رأينا فقط أن نقدم اليه بعض الاشياء
البسيطة . ان والده رقيق الحال جدا كما تعلمين .
فقالت المس جورجان برفق :

– نعم .. نعم ..

– لقد اشترت المسز مونرو بعض الملابس له .. فاذا سمحت
واستدعيته فسوف تقدمها له .
فبادرت المس جورجان تقول :
– أوه .. لا .. لا .. لا أعتقد أن ..

– لماذا لا .. اننا نحمل له بضعة قمصان وبذلتين وخوذتين
– ولكن هذا قد يحرجه .. انه صغير السن حقا ولكنه على جانب
كبير من الإباء والكبرياء

– لا لا يا مس جورجان .. ليس ثمة حرج اطلاقا في تقديم بعض
الملابس النظيفة السليمة لطفل فقير . بل ان الحرج هو أن يبدو
بملابسه المهلهلة بين التلاميذ . وعدا هذا فان اعتياده على الحفاء
سيجعله كارها ارتداء أى حذاء في المستقبل .
فقالت المس جورجان يائسة :

– اننى أفضل ألا تفعلوا هذا .. أرجوكم

– انك يا مس جورجان تبالغين في تقدير الموقف الى حد كبير ..
لقد اشترت المسز مونرو هذه الملابس الجديدة للصبي ، فأرجوك أن
تستدعيه لتقدمها اليه

وبعد لحظات كان روبى واقفا أمامهم ، بشعره المسدل على عينيه ،
ووجهه المضطرب بانفعال اللعب في فناء المدرسة ، وأخذ الجميع
ينظرون اليه في عطف واشفاق ، ويركزون نظراتهم على ملابسه
المهلهلة مما جعله يتململ في وقفته .

وقالت المس جورجان :

– ان المسز مونرو تريد أن تقدم اليك شيئا ياروبرت

وهنا تقدمت المسز مونرو ووضعت اللفافة بين ذراعي روبي وهى تقول باسمه :
روبي من ولد لطيف

ووضع روبي اللفافة بعناية على الارض ثم وقف ويداه خلفه .
وقال المستر ألين صاحب المتجر بصوت حازم :
- افتحها

نظر روبي اليه فى تمرد .. ثم قال :
- نعم يا سيدى

وفتح اللفافة .. وبدأت القمصان والبذلتان والحذاءان . ونظر روبي الى هذا كله دون أن يفهم شيئاً . ولما فهم الحقيقة ، اضطرم وجهه بشدة وتلفت حوله كالقار فى المصيدة ، وفجأة اندفع الى الباب وانطلق هارباً لا يلوى على شيء

والتفتت المسز مونرو الى المدرسة وقالت فى حيرة :
- ماذا حدث ! لماذا هرب !

- اعتقد انه شعر بالحرَج والارتباك .
- ولكن لماذا .. ؟ اننا لم نسيء اليه .

وحاولت المسز مورجان أن تشرح لها الموقف . وشعرت بغضب مفاجئ . ولكنها تماكنت نفسها ثم قالت :

- بل أسأتى اليه يا سيدتى . انه كما اعتقد لم يكن يعرف انه
تغير وفى حاجة الى مساعدة الغير الا الان فقط
واردفت قائلة كأنما تحدث نفسها :

- ليس الفقر هو قلة المال .. وانما هو فى شعور الانسان بأنه
فى حاجة الى مساعده الغير له بالمال
وقال جون هوايتسيد :

- انها غلطتى .. وأنا آسف جدا

وقال برت مونرو :
- وماذا سنفعل الان لاصلاح هذا الخطأ ؟

- اننى لا أدرى .. لا أدرى حقاً
واستدارت المسز مونرو الى زوجها وقالت :

- اعتقد يا برت لو أنك ذهبت الى المسز مالبي وشرحت له حسن نوايانا ، فسوف يدرك حقيقة الموقف . ويمكنك أن تكون رقيقا فى حديثك معه . وقل له ان الاطفال الصغار لا يجب أن يسيروا حفاة وفى ملابس مهلهلة . وقد يدرك المسز مالبي حقيقة الموقف ويطلب من ابنه ان يقبل الملابس . ما رأيك فى هذا يا مسز هوايتسيد .

فهز جون هوايتسيد رأسه وقال :

- اننى لا أميل الى هذا رأى ، ولكن يمكننا أن نأخذ عليه الاصوات .

وقالت المسز مونرو فى الحاح :

- اعتقد أن صحة الطفل أهم من مشاعره

ووافقت أغلبية مجلس الادارة على اقتراح المسز مونرو

واغلقت المدرسة بمناسبة أعياد الفصح . وقررت المسز مورجان

أن تقضى اجازتها فى لوس انجليس . وفيما هى واقفة تنتظر فى مفترق الطرق السيارة الحافلة التى تنقلها الى سيلاس أولا ، اذا بها ترى رجلا وصبيا يخرجان من طريق الوادى الاخضر ويقتربان نحوها . وكانا يرتديان ملابس جديدة رخيصة ويسيران فى تعثر كأن أقدامهما تؤلهما . ولما اقتربا منها ، تبينت أن الصبى هو روبرى . وكان وجهه ينم عن الحزن والاستياء . ومن ثم هتفت قائلة له :

- روبرت ؟ ماذا حدث . . الى اين أنت ذاهب !

وتحدث الرجل قائلا :

- اننا ذاهبان الى سان فرانسيسكو يا مسز مورجان

ونظرت بسرعة لترى أن الرجل هو جونيوس مالبي بعد أن أزال لحيته . ولم تكن تتوقع أن يبدو أمامها اصغر كثيرا مما كانت تظن . . كان لا يتجاوز الخامسة والاربعين بعد أن كانت تحسبه بلحيته الهائلة فوق الستين . وكانت نظراته تنم عن الدهشة والحيرة والارتباك

- هل انتما ذاهبان لقضاء عطلة الاعياد ؟ اننى أحب المدن فى

هذه الاعياد ؟ ولا أمل الفرجة على واجهات المتاجر

وأجاب جونيوس ببطء :

- أعتقد أننا سنقيم في سان فرانسيسكو بصفة دائمة . انى
كاتب حسابات مدرب . اننى كنت كاتب حسابات منذ عشرين
عاما . . . وأعتقد اننى سأحصل على عمل فى احدى الشركات
أو المؤسسات بسهولة

- ولكن لماذا تفعل هذا ؟ لماذا تترك الوادى الاخضر ؟
فقال ببساطة :

- لم اكن أعرف اننى أسوء الى والدى هنا . ولم يخطر ببالى ان
حياتنا فى هذا الوادى ، وعلى ذلك النحو ، ستسوء اليه والى
مستقبله . وفضلا عن هذا ما كان ينبغى له أن ينشأ على الفقر .
أليس كذلك ؟ لم اكن أعرف ماذا كان سكان الوادى يقولون عنا .

- ولكن مزرعتك جيدة . . فلماذا لا تبقى فيها

- لاننى لم أعرف كيف أستثمرها كما ينبغى . اننى لا أعرف
شيئا عن الزراعة والفلاحة . ولسوف يحاول جاكو أن يديرها . .
ولكنه كسلان جدا ، ولهذا سأبيعها فى الوقت المناسب لكى أقدم
لروبى اشياء لم يرها فى حياته

وأحسست المس مورجان أنها على حافة البكاء . ولكنها تماكنت
مشاعرها وقالت :

- وهل من المفروض ان يصدق الانسان كل السخافات التى
يقولها الناس عنه أو عن غيره !

فنظر اليها مدهوشا ثم قال :

- لا طبعاً . . ولكن طفلا مثل روبى لا يجب أن يعيش وينمو
كحيوان صغير ، انه ليس حيوانا يا مس مورجان

وأردف قائلا حين بدت السيارة الحافلة من بعيد :

- وروبى فى حاجة أشد الى أم حانية . . ولكن . . !!

ونظر جونيوس اليها فى صمت ورجاء . .

وابتسمت المس مورجان . . ومدت يدها وامسكت بيد الصبى

ولما أقبلت السيارة . . ركب فيها الثلاثة معا !!

الأختان

عندما مات العجوز جيرمو لوبيز ، كانت ابنتاه قد بلغتا سن الرشد ، وكان هو قد ترك لها مزرعة صغيرة معظمها من الاراضى الجبلية فى الوادى الاخضر ، ولم يترك لهما مالا قط . وكانت الاسرة تعيش فى بيت صغير له فناء يطل على الطريق العام ، وفى الفناء بئر عذبة المياه

وأخذت الأختان تعملان فى المزرعة الجرداء ، بعد وفاة أبيهما ، ولكن المزرعة لم تعطهما شيئا ، واستطاعتا فى النهاية أن يزرعا الحديقة الخلفية بالخضر ، ولكن المحصول لم يكن يكفيهما لان يعيشا فى مستوى معقول

ولما طالت بهما أيام الفاقة ، ورأنا شبح الجوع يطل عليهما كل يوم ، وكانت كل منهما ممثلة الجسم ، لا تطيق الجوع ، فقد قالت الأخت الكبرى روزا لاختها التى تصغرها بعامين ، ماريا :
- ألسنا أحسن من يصنع فطائر التورتيللا فى الوادى !

وقالت ماريا بحماس :

- نعم . وقد تعلمنا فن صناعتها من أمنا

- اذن فقد نجونا . . لسوف نصنع التورتيللا باللحم المفروم ، والانشيلاداز بصدور الدجاج ، وفطائر النامالا بالكريمة . وسوف نقدم هذه الاصناف المكسيكية الشهية للوافدين على الوادى الاخضر أو الخارجين منه

- وهل سيشتري سكان الوادى هنا الفطائر منا ؟

- اسمعى يا عزيزتى ماريا . . ان فى مدينة مونتريرى محلات كثيرة لبيع هذه الفطائر والحلوى . . وأصحابها يكسبون الكثير ويشترى الملابس الحريرية ويذهبون الى دور السينما مرتين فى الاسبوع . وأنا أؤكد لك أن فطائرنا افضل مما يصنعون بكثير . . ألم تكن امنا تقول هذا ؟

وطفرت الدموع الى عيني ماريا وهى تقول :

- ليس فى الدنيا من يصنع هذه الفطائر كما كانت أمتا تصنعها
بيديها الطاهرتين

فقلت روزا :

- حسنا .. ما دامت فطائرنا لن يكون لها مثيل ، فسوف يقبل
عليها الناس

وتبع هذا اسبوع من العمل المتواصل لاعداد الغرفات الثلاث
الامامية من البيت مطعما صغيرا أنيقا .. وأعيد طلاء البيت ، وزرعت
الازهار والورود فى جانبى المدخل ، وصفت المقاعد والموائد ذات
المفارش النظيفة فى الغرفات الثلاث . ووضعت على سور الفناء
الخارجى لافتة تقول بالحروف الكبيرة « فطائر التورتيللا
والانشيلاداس وحلوى التامالا .. وأصناف مكسيكية أخرى ..
روزا وماريا لوبيز »

ولكن الطاعمين لم يتزاحموا على المطعم الجديد ، وانما كانوا
يأتون فرادى ، بين الحين والآخر .. وكانت الاختان تجلسان الى
الموائد وتنتظران هبوط الثروة . وفجأة أقبل زبون ، وثبتا اليه
وراحت كل منهما تسابق الاخرى فى خدمته ، وفى ارسال الضحكات
العذبة لكل ما يقوله الزبون حتى لو كان سخفا !

وكانتا تزهران بأحسابهما ، بجمال فطائرهما ، ولا تدخران
وسعا فى اظهار جمالهما ايضا .. الصدر النافر .. والاذرع
البیضاء واللون والخصر النحيل فوق الردف الثقيل .. والابتسامة
الدائمة التى تكشف عن اسنان وضاعة .. وتثير وجها فيه براءة
الطفولة وجاذبية الانوثة

ولكن الزبائن ، رغم هذا ، لم يتوافدوا بكثرة .. وبدأت
الاحوال تسوء تدريجا . وفى ذات يوم قالت روزا لاختها ماريا :

- شدى جوادنا العجوز ليندو الى المركبة واذهبى لشراء علف
له . ولكن لا تكثرى من الكمية الان .. وحاولى أن تأتى معك
بقطعتين من الحلوى المسكرة .. قطعتين كبيرتين

وذهبت ماريا .. وعادت فى الاصيل الى أختها تحمل فى المركبة
كمية من علف الجياد ، وفى جيبها الواسع أربع قطع من الحلوى

المسكرة • ولكنها فوجئت بالهدوء المريب يخيم على البيت • • لقد اعتادت ان تستقبلها أختها روزا بالصياح والضحك والرغبة لمعرفة كل تفاصيل الرحلة ذهابا وإيابا أما في هذه المرة فقد رأت روزا جالسة الى منضدة وقد اسندت رأسها الى يدها وبدأت كأنها مستغرقة في تفكير عميق

• تقدمت ماريا نحوها في ارتباك وقالت :

— لقد احضرت لك الحلوى المسكرة • • وها هي ذى

وتناولت روزا قطعة الحلوى وراحت تلوكهما دون أن تبتسم أو تخرج عن وجومها • وجلست ماريا بجوارها وراحت تبتسم وتنتظر في صبر أن تفضي إليها أختها بمتاعبها وأخيرا قالت روزا بكل بساطة :

— اليوم • • سمحت لاحد الزبائن أن يقبلنى • •

وندت عن ماريا شهقة عجب وإهتمام • • واستطردت روزا تقول :

— لا تسيئى فهمى يا ماريا • • اننى لم اسلم له شفتى مقابل المال • • وانما لاغريه بطلب المزيد من فطائرنا • • لقد سألتنى بماذا أكافئه لو أكل ثلاث فطائر ، فقلت • • أقبله • • واذا أكل أربعة • • قلت أتركه يعانقنى وهو يقبلنى • • ولم • • لم يحدث أكثر من هذا

واخفت ماريا وجهها بين ذراعيها خجلا • • ولكن روزا عادت تقول :

— لا بد ان نشجع الناس على الحضور يا ماريا • • حقا ان القبله والعناق فى مذهبنا الكاثوليكي اثم كبير لا بد أن نطهر من— به بالاعتراف أمام أقيونتنا العذراء • • ولكن • • ماذا يمكن أن نفعل لكى نأكل ونلبس ونعيش كما يعيش الناس ! ما رأيك !
ومسحت ماريا أنفها وقالت :

— لا شك أن أمتنا ستكون سعيدة لو أننا التمسنا الغفران من أمتنا العذراء ومن القديسة روزا

واحتضنت روزا أختها ماريا وقالت :

— هذا ما فعلته • • فمجرد أن خرج ، ركعت أمام أيقونة أمتنا

العذراء وأيقونة القديسة روزا وصليت في طلب المغفرة

وتخلصت ماريا من ذراعى أختها ، وأسرعت الى غرفتها الخاصة ،
وركعت أمام أيقونتها العذراء والقديسة روزا ، وكانت كل أيقونة
موضوعة فى تجويف فى الجدار وتحتها شمعة مضاءة • وبعد عشر
دقائق ، عادت الى أختها وقالت لها :

- وأنا أيضا يا روزا سوف أشجع الزبائن على طلب المزيد من
الفتائر

وكان ذلك اليوم نقطة تحول فى حياة الاختين • انهما لم يربحا
الشيء الكثير من المطعم ، ولكنهما كانتا تبيعان ما يكفى لاستمرار
العمل فيه والحصول على كفايتهما من الطعام والرداء والحولى
المسكرة والعلف والشعير لجوادهما العجوز •

وكانت كل أخت تركع - قبل النوم - أمام أيقونتها وتطلب منها
الصفح والغفران على تشجيعها للزبائن بوسائل لا تتناسب مع حياة
العذارى !

- أخذت الحياة تمضى بهما فى يسر ورخاء ودون أية منافسة أو
غيرة بينهما •• لانهما كانتا متساويتين فى الجمال رغم أن ماريا
كانت أكثر بدانة ، وروزا أطول قليلا

وتجاوبت جدران البيت أو المطعم برنين الضحكات وترجيع
النغمات التى كانت الاختان ترددانها وهما تصنعان الفتائر فى
بكور الصباح ، وإذا تصادف وقال أحد الزبائن عبارة فكاهية ،
اندفعت الفتاتان فى ضحك عريض متواصل يجعل الزبون سعيدا
لاكتشافه بأنه انسان خفيف الظل

على أنه ينبغى القول أن الاختين كانتا حريصتين على كرامتهما ،
ومن ثم لم تحاول احدهما أن تأخذ نقودا من أحد الزبائن أكثر
من الثمن المحدد للفتائر التى تناولها • فاذا أكل أربع فتائر أو
أكثر ، كافأته احدهما بعدد من القبلات مع شيء من العناق الحار !

وقد حدث ذات مساء أن أحد الزبائن لم يستطع أن يأكل أكثر
من فطيرتين ، ومن ثم حاول أن يقدم لروزا ثمن أربع فتائر ليظفر
بالمكافأة ! وكان بعض الزبائن موجودين بالمطعم ورأوا ما حدث •
وخيم الصمت الثقيل على المكان • وأخفت ماريا وجهها بين يديها •

وشحب وجه روزا أولا ٠٠ ثم اربد بالغضب الشديد ، ولهثت أنفاسها من فرط الانفعال ، وارتفعت يداها الى جانبي خصرها ولكنها حين تحدثت ، كان صوتها هادئا مضغوطة بقوة الارادة :

- ان هذه اهانة بالغة أيها السيد ٠٠ ألا تعرف أن الجنرال فاليجيو أحد أجدادنا وان دمائه تجري في عروقنا ؟ فاذا الجنرال فاليجيو اذا سمع بهذا ٠ أترأه كان يقبل محو هذا العار الا باراقة الدّم ٠ كيف أيها السيد توجه مثل هذه الاهانة الى أبرع صانعتي فطير التورتيللا في كاليفورنيا كلها

فقال المذنب بصوت ضعيف :

- أنا لم أقصد اهانتكما ، أقسم بالله يا روزا ٠٠ لم أقصد هذا وانحسر الغضب عنها عندئذ ٠ ولكنها أشارت بيدها الى الباب وقالت بلهجة آمرة :

- أخرج ٠٠ أنا أعرف أنك لم تقصد اهانتنا ، ولكن هذا لا يعفيك من الذنب ٠ وعليك ألا تعود مرة أخرى الا بعد شهر ٠٠ هذا هو العقاب

ثم استدارت ، بعد خروج الرجل ، الى بقية الزبائن وأردفت قائلة :

- والان ٠٠ هل يريد أحدكم مزيدا من الفريجولا ٠ ؟ ان طبق الفريجولا عندنا ليس له مثيل في العالم

وعلى هذا النحو كانت الاختان تعيشان سعيدتين هانئتين ، تأخذان الحياة ببساطة ، وترضيان بالقليل ، وتسعدان بقطعة الحلوى ، والثوب الجديد ، والذهاب مرة كل شهر الى إحدى دور السينما

وكانت روزا تقول لاختها ماريا :

- اننا نعيش في سعادة بالغة يا ماريا ٠٠ ولعل الام العذراء لا تحرمننا من هذه السعادة

ولكن الاحساس بالتشاؤم لم يكن دائما ٠٠ فقد اشترت روزا فنغرافا ومجموعة من الاسطوانات ٠٠ وهكذا انطلقت الاغاني والموسيقى الراقصة في أنحاء المطعم الصغير ٠٠

على أن سكان الوادي الاخضر كان لهم رأى آخر في الموضوع

كله • لقد أخذت الهمسات تتناقل بينهم على أن الاختين من النساء السيئات السيرة ومن ثم كانت سيدات الوادى يتحدثن اليهما ببرود كلما التقت احدهما بواحدة منهما • وكان من المستحيل أن تعرف سيدات الوادى بما يجرى فى المطعم من قبلات وعناق • • فمن المؤكد أن الأزواج لم يخبروا زوجاتهم بما يجرى فى المطعم • ومع هذا فقد وصلت أبناء هذا كله الى الزوجات

وفى ذات يوم صباحا ، أعدت ماريا مركبتها للرحلة الى مونتريرى ، ثم ركبت فى مقعد القيادة وصاحت بالجواد العجوز لندو :

— هلم يا لندو ••

ولكن لندو ارتعد واستدار برأسه نحوها كأنما يرجوها أن تعفيه من هذه الرحلة التى لم تعد شيخوخته تتحملها • وعادت ماريا تقول :

— ألم تسمع •• يجب أن نمضى • هناك أشياء يجب أن نشترتها من مونتريرى

وعاد لندو يهز رأسه ويشنى ركبته فى استرخاء • وتقول ماريا فى ضيق شديد :

— اسمع يا لندو •• يجب أن نمضى •• اننى مصرة على هذا

ومد لندو رأسه الى الارض كأنما يتشممها ككلب المطاردة وبدأ الخطوة الاولى لقطع مسافة التسعة أميال الى مونتريرى • وكان لندو يعرف هذا جيدا •• يعرف أنه لا بد أن يسير تسعة أميال ذهابا ، ومثلها ايابا ••

وكانت التلال فى بكور الصباح تتألق بالندى • وأخذت ماريا تتنفس بعمق وترفع صوتها بالغناء • وحتى لندو شعر بلمسة من الشباب فى تلك اللحظات ، فأرسل فى الجو نحيلا عاليا • وأخذ عصفور برى ينتقل من غصن الى غصن مزقزا • وعلى مسافة يسيرة الى الامام رأت ماريا رجلا يسير متعثرا • وقبل أن تصل اليه عرفته من مشيته •• كان يسير كالقرد •• وكان شكله أقرب الى القرد منه الى الانسان •• انه المستر هونيكر •• أقبح رجل فى الوادى الاخضر ، وأكثر الرجال خجلا

وقد بلغ من خجل هونيكر من شكله أن أطلق لحيته حتى تخفى
الجانب الأكبر من وجهه . ولكن اللحية زادت قبحا لأنها كانت
تنبت في أماكن متفرقة من وجهه . وكانت زوجته قد تزوجته
لأنها بلغت السابعة والثلاثين ، ولأن هونيكر كان الرجل الوحيد
في عائلتها المحتاج الى رعاية . وقد ظهر فيما بعد أنه كانت لها
نزعات خاصة نحو الغيرة . ولما لم تجد شيئا في هونيكر يمكن أن
تغار عليه ، فقد راحت تبتكر أشياء من خيالها الواسع . فكانت
تقص على الزوجات من جاراتها قصصا عن علاقات هونيكر السرية
مع النساء ، وعن فحولته التي لا تكتفى بزوجة واحدة ، وكانت
تكرر سرد هذه القصص حتى أصبحت تصدقها . أما جاراتها فكن
يضحكن بعد انصرافها ، لأن كل ساكن في الوادي الأخضر
يعرف تماما مدى خجل هونيكر وحيائه وخوفه من المجتمعات

وتوقف لندو العتيق بجوار هونيكر ، وشدت ماري العنان
بقوة كأنما تكبح جماح جواد جامح وهي تقول :

— اثبت يا لندو .. واهدا

هذا بينما كان لندو يتوقف كالصخرة عند أدنى ضغط على
العنان . وقالت ماري لهونيكر :

— طاب صباحك يا مستر هونيكر

وتراجع هونيكر في خجل الى جانب الطريق وقال :

— صباحا يا مس ماري

— اننى ذاهبة الى مونتريرى . هل تحب أن تركب معى

ورفع هونيكر وجهه الى السماء كأنه يبحث عن النور فيها :

— اننى ذاهب فقط الى محطة السيارة العامة

— وبعد ذلك . ان المسافة قصيرة

وحك هونيكر لحيته .. وأفسحت ماري مكانا بجوارها ..

وصعد هو الى المكان الخالى . وقالت ماري :

— هلم يا لندو .. امض .. امض قبل أن أغضب

وتحرك لندو مرة أخرى . وساد الصمت بين ماري وهونيكر
حتى قطعت بهقولها :

— هل أنت ذاهب فى رحلة طويلة ؟

وحملق هونيكر فى جانب التلال .. ولم يقل شيئا .
وقالت ماريا :

- أنا لم أركب قطارا فى حياتى . ولكن أختى روزا ركبت
القطارات . وقد ذهبت ذات مرة الى سان فرانسيسكو . وقد
سمعت رجلا أغنياء يقولون أن السفر والترحل متعة كبيرة
وقال هونيكر :

- اننى ذاهب فقط الى ساليناس

- آه .. لقد ذهبت اليها كثيرا . ان لى ولروزا صديقات فى
ساليناس . وكانت أمنا من هذه المدينة . وكان والدنا يذهب اليها
كثيرا

وتململ هونيكر فى جلسته وقال :

- ان سيارتى الفورد العتيقة معطلة . ولولا هذا لركبتها .

- اذن فأنت تمتلك سيارة فورد

- انها مجرد سيارة فورد عتيقة

- اننى وروزا نتمنى أن نشتري سيارة يوما ما لنسافر بها الى
كل مكان .. لقد سمعنا من الاغنياء أن السفر متعة

واستمرت المحادثة على هذا النحو .. ولندو سائر فى طريقه
لا يكاد يشعر بما يجرى خلفه

وكان برت مونرو وزوجته ينطلقان فى سيارتهما الفورد
المستعملة ولما مرا بالركبة ، مد برت مونرو عنقه وقال ضاحكا :

- أرايت هذا ؟!

ثم أردف قائلا :

- أرايت ذلك الرجل فاتن النساء مع ماريا لوبيز !

وابتسمت المسز مونرو . وعاد مونرو يقول :

- ما رأيك لو دبرنا مقلبا وأخبرنا زوجته بأننا رأينا زوجها

فاتن النساء مع ماريا لوبيز !

فقالت زوجته باصرار :

- لا تفعل شيئا من هذا

- ولكننا سنضحك كثيرا . وأنت تعرفين كيف تتحدث زوجته

عنه وعن فتنته للنساء .

— لا لا يا برت .

وكانت ماريا تقول لهونيكر فى معرض الحديث :

— لماذا لا تأتى الى مطعمنا لنأكل التورتيللا . ان فطائر التورتيللا التى نصنعها ليس لها مثيل فى العالم . وأنا أذهب الى مونتريرى لاشترى الدقيق من هناك . انه ارخص ثمننا فيها وغاص هونيكر فى مجلسه . وتمنى أن يصل الى محطة السيارة الحافلة .

ولما عادت ماريا الى أختها روزا ، كانت الشمس قد أوشكت على المغيب . وهبطت من المركبة وهى تهتف للندو :

— ها قد وصلنا . . اذهب الى المربط املاً معدتك بالشعير أيها العجوز العزيز ثم دخلت الى البيت وهى تحمل كمية كبيرة من الحلوى المسكرة وبعض الملابس والاقمشة الحريرية

ولكنها فوجئت بالهدوء يرين على البيت والمطعم ، تماماً كما حدث فى مرة سابقة . ورأت روزا جالسة الى مائدة وقد ارتسم الوجوم الشديد على وجهها ، ولم تلتفت الى ماريا حين دخلت . وتوقفت هذه قائلة فى دهشة :

— لقد جئت يا روزا .

واستدارت روزا ببطء وقالت :

— نعم

ومدت يديها بالملابس والاقمشة وقالت :

— لقد جئت لك بهدية

ولم تهتم روزا . . وقالت ماريا :

— روزا . . ألا ترين ؟ ألم يعجبك هذا ؟

— انك يا ماريا فتاة طيبة

— ماذا بك يا روزا ؟ هل أنت مريضة . يجب أن تخبرى أختك ماريا بكل شيء

ولما لم تجب روزا ، قالت ماريا :

— هل حضر أحد وأساء اليك ؟

— نعم . . جاء المأمور

ودهشت ماريا ، وقالت فى انفعال :

- هل جاء المأمور حقا ؟ اذن فقد نجحنا .. ان حضور المأمور
للاكل عندنا سوف يشجع الجميع على الحضور .. لسوف نزداد
ثراء . أخبريني كم فطيرة أكلها !

وهزت روزا رأسها فى حزن وقالت وهى تضع ذراعيها حول
أختها :

- يا أختى الصغيرة الحبيبة . اننا لن نستطيع أن نبيع الفطائر
بعد اليوم لا بد أن نغلق المطعم ونعيش كما كنا .. بلا ملابس
جديدة ولا حلوى مسكرة ولا ذهاب الى السينما
فهتفت ماريا قائلة :

- روزا .. هل جننت ؟ لماذا يحدث هذا كله ؟

- نعم .. لقد جاء المأمور بناء على شكوى قدمت اليه .. قال
ان المسز هونيكر جاءتته وشكت اليه اننا ندير هذا المطعم لاغراض
غير شريفة ، وان الناس رأوا زوجها راكبا معك فى الطريق الى
مونتريرى ..

وهتفت ماريا مرة أخرى قائلة فى استنكار :

- المسز هونيكر ؟ كيف هذا ؟

- نعم .. ان زوجته تقول اننا نريد أن نخطفه منها ..
تصورى .. وقد قال المأمور انه يتصرف بناء على الشكوى المقدمة
اليه . وما دمنا لا نملك ترخيصا بإدارة المطعم ، فلا بد أن نغلق
أبوابه .

- وماذا قلت له .

- احتججت عليه بشدة وأكدت له ان كل ما يقال عنا كذب فى
كذب . ولكنه قال ان القانون يجب أن يطاع . ولهذا أصدر الى
أمرأ مكتوبا باغلاق المطعم .

وأخفت ماريا وجهها بين يديها وقالت :

- وماذا سنفعل الان ؟

وصممت روزا برهة قبل أن تقول :

- ليس أمامنا غير الرحيل الى سان فرانسيسكو بعد أن نبيع
البيت والمزرعة

- وماذا سنفعل هناك ؟

- ليس أماننا الا أحد أمرين : اما أن نصطاد زوجين قبل أن يفرغ المال من أيدينا واما ...
- نظرت ماريا اليها في ترقب وقالت :
- واما ماذا يا روزا ؟
- واما نزيد كل ليلة من حرارة الصلاة وطلب الصفح والغفران من أمانا العذراء ..
- ولا يدري حتى ماذا فعلت الاقدار بالاختين . هل استطاعتا أن تصيدا زوجين ، أم أن كلا منهما ظلت في كل ليلة ، وقبل أن تنام ، تصلى وتدعو السيدة العذراء في طلب الغفران !

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

الغائب

هبطت مولى جوردان من القطار فى مدينة ساليانس ، وبقيت تنتظر فى السيارة الحافلة نحو نصف ساعة ، وكانت السيارة واقفة بالمحطة ، ليس بها غير السائق والتذكرى وقالت للسائق :

- اننى لم أذهب قط الى جنة السماء .. أو الوادى الاخضر ، فهل يقع بعيدا عن الطريق العام !
ورد السائق قائلا :
- نحو ثلاثة أميال

- هل يمكن أن أجد سيارة تنقلنى اليه ؟
- لا .. الا اذا كان هناك من يستقبلك على محطة الطريق
وكانت السيارة قد بدأت تسير .. وقالت المس جوردان :
- كيف أذن أصل الى هذا الوادى الاخضر !
- لا أدرى .. يمكنك أن تقطعى المسافة سيرا .. معظم سكانه يسرون هذه المسافة اذا لم يكن هناك من يستقبلهم بسيارة أو مركبة

ولما وصلت الى المحطة التى يتفرع منها الطريق الجانبى الى الوادى ، هبطت حاملة حقيبة سفرها وسارت بوجه جامد السمات نحو التلال . وسمعت وراءها زفيف سيارة فورد عنيفة ثم صرخ ووقفها بجانبها ، ثم صوتا يقول :

- أذاهبة أنت الى الوادى يا سيدتى ؟

- آه .. نعم .. نعم ..

- حسنا .. اركبى معى .. لا تخافى .. اننى بات هامبرت ،

ولى مزرعة بالوادى
وتأملت مولى الرجل برهة . ثم اطمأنت اليه وقالت تعرفه بنفسها :

سيدة بدينة ضاحكة الوجه والعينين قالت لها :
- أرجو ألا تكونى من البائعات المتجولات • فأنا لا أشتري
أشياء معينة ، ولكن البائعة تقنعنى بشرائها ، ثم أغضب وأثور على
نفسى

وضحكت مولى •• وشعرت بالراحة والبهجة ، وادركت فى
تلك اللحظة الى اى حد كانت خائفة •• وهتفت قائلة :

- لا لا •• اننى لا أبيع شيئا •• انما أنا المدرسة الجديدة •• ومعى
خطاب للمستتر هوايتسيد •• هل يمكن أن أقابله !

- نعم •• نعم •• ولكننا فى الظهر •• وقد فرغ لتوه من طعام
الغداء •• هل تغديت :

- أوه •• طبعا •• أعنى •• لا ••

وارسلت المسز هوايتسيد ضحكة قصيرة وافسحت لمولى طريقا
للدخول وقالت :

- حسنا •• حسنا جدا •• تفضلى بالدخول

وتقدمتها الى غرفة طعام فاخرة من خشب الموحنة ، وكانت
المائدة مفروشة بالاطباق والاولانى •• وقالت المسز هوايتسيد :

- يبدو أن جون فرغ من طعامه •• اجلسى يا ابنتى •• سوف
أحضر لك بعض الشواء ••

- أوه •• شكرا •• لا داعى لهذا •• سوف أتحدث مع المستر
هوايتسيد ثم انصرف

- اجلسى يا ابنتى •• انك ستكونين فى حاجة الى التغذية
لمواجهة جون

- أهو •• أهو شديد الى هذا الحد مع المدرسات الجديديات ؟

وفكرت المسز هوايتسيد برهة ثم قالت :

- الواقع أنه عنيف جدا مع الذين لا يتناولون طعام الغداء فى
بيته •• واذا تناولوه ، فانه يكون معتدلا •• أو خفيف الوطأة على
الأقل

وضحكت مولى ابتهاجا وقالت :

- يبدو أنك أم لعدد كبير من الاطفال !

- فلوت المسز هوايتسيد أنفها بطريقة مضحكة وقالت :

- ليس لى غير ولد واحد ٠٠ وقد رببته حتى كبر ٠٠ وهو الان
ربى الابكار ٠٠ مسكين !

ولما فرغت مولى من طعامها ، فتحت المسز هوايتسيد بابا جانبيا
وقالت :

- جون ٠٠ هناك من يريد مقابلتك

ثم وقعت مولى الى غرفة مكتب مليئة بخزانات كتب ومجلدات .
وكانت تستعمل أيضا غرفة للاستقبال .

وعلى أحد المقاعد الجلدية الفاخرة ، رأت كهلا أبيض الشعر ،
لطيف السمات جالسا الى مكتب من الموجنة ، ينظر اليها بتساؤل ،
فقال :

- اننى مولى جوردان

- آه ٠٠ المس جوردان ٠٠ كنت فى أنتظار وصولك ٠٠ تفضل

بالجلوس

واختارت مقعدا من النوع المتأرجح وقالت :

- اننى أحب هذا النوع من المقاعد ٠٠ كان فى بيتنا واحد منها
وأنا طفلة

ثم استدركت فى خجل وقالت :

- جئت لمقابلتك بشأن العمل . وانى أحمل لك خطابا ٠٠
وابتسم المستر هوايتسيد وقال :

- أرجو أن تتراخى فى جلستك يا مس جوردان ٠٠ اننى فى
الواقع أشعر بالحرَج فى مثل هذه المناسبات رغم تكرارها كثيرا
خلال عشرين عاما ٠٠

وهذأت أعصاب مولى وقالت :

- اننى سعيدة بهذا اللقاء يا مستر هوايتسيد ٠٠ فهذه أول
مرة أقابل فيها أحدا بشأن العمل ٠٠ اننى لم أعمل فى حياتى من
قبل

- حسنا ٠٠ حسنا يا مس جوردان ٠٠ اعتقد أن الهدف من
هذه المقابلة هو معرفة كل ما يمكن أن أعرفه عنك وعن طبيعتك
وشخصيتك . ولهذا أعتقد أن كلمات قليلة منك سوف تكفى ٠٠

وأومأت مولى برأسها وقالت :

- نعم يا مستر هوايتسيد .. سوف أحدثك عن نفسى .

وعادت مولى بذاكرتها الى الورا .. الى أيام طفولتها عندما نشأت فى بيت حجرى عار من الطلاء ، له فناء خلفى ، وشجرة عالية كان أخوها توم وجو يتسلقانها ويتصايحان « أنا النسر » بل « أنا البغاء » !

ويفتح الباب الخلفى المؤدى الى الفناء ، وتظهر الام ، مجهدة ، مرهقة مشبعة الشعر تلتصق خصلات منه على جانبى وجهها . وكانت عيناها على شىء من الاحمرار دائما ، ويدها تؤلمانها .. وكان صوتها ينم عن القلق والحزن وهى تهتف لولديها :

« توم .. جون .. لسوف تقعان اذا لم تحذرا .. ألا تحبان أمكما .. ! »

ويصمت الطفلان تماما .. وتكون مولى جالسة فى الفناء ممسكة بعضا عليها بعض القماش متخيلة أنها سيدة أنيقة . وتقول لها :
أمها :

« هلم يا مولى وابقى بجانب امك .. اننى أشعر بالتعب الشديد »
وتقف مولى وترشق العصا فى أرض الفناء وتهمس لها :

« كونى مؤدبة أيتها الفتاة والا عدت وضربتك على مؤخرتك العارية »

ثم تضى الى امها وتدخل معها البيت

وتجلس أمها على كرسى فى المطبخ وتقول لها :

« اقتربى منى يا مولى .. اجلسى معى قليلا . ألا تحبين أمك ؟
انك ابنتى الصغيرة الحبيبة »

وتتململ مولى فى مقعدها .. وتعود الام لتقول لها :

وتشعر الطفلة الصغيرة بتعاسة بالغة . كانت تعرف أن أمها سوف تبكى بعد لحظة ، وتجد نفسها مضطرة الى التخفيف عنها والمسح على شعرها المشعث . وكانت تعرف أن عليها وعلى اخويها أن يحبوا أهمهم اكبر الحب ، لانها تفعل كل شىء من أجلهم ، كل شىء .. وكانوا من ثم يشعرون بالخجل من انفسهم لانهم يكرهون البقاء بجوارها . ولكن ماذا فى وسعهم أن يفعلوا . لقد

كانوا يكتمون أنفاسهم عندما تنادى عليهم دون أن تراهيم ، ثم يتسالمون بعيدا ويتحدثون في همس



وقالت مولى للمستتر هوايتسيد :

- ابدأ الحديث عن نفسى يا سيدى فأقول اننا كنا فقراء جدا
.. بل استطيع أن أقول اننا لم نكن نجد ما يكفى لطعامنا كل يوم
.. وكان لى اخوان اكبر منى قليلا . وكان والدنا بائعا متجولا فى
البلاد .. ومع هذا كان على أمنا أن تعمل فى غسل الملابس لكى
توفر لنا بعض الطعام
وعادت مولى الى ذكرياتها :

وفى كل ستة أشهر تقريبا كانت الحياة فى البيت الفقير الصغير
تتغير فجأة . كانت الام تتسلل فى الصباح من غرفة نومها بهدوء
وقد صفف شعرها والتمع ، وتألقت عينها ، وارتسمت السعادة
على وجهها الذى كان يبدو عندئذ على شئ من الجمال .. وكانت
تهمس لاولادها قائلة :

« سكوتوا يا أولاد .. لقد عاد أبوكم أمس »

وتتسلل مولى وأخواها من البيت ، وفى الفناء يتبادلون الحديث
فى اهتمام وهمس . وينتقل الخبر بسرعة بين الجيران . وسرعان
ما يمتلئ الفناء بأولاد الجيران الذين يهمسون لمولى وأخويها :
« يقولون أن والدكم جاء أمس مساء ! أهذا حقا ؟ أين كان كل
هذه المدة ؟ »

وعندما تأتى الظهيرة ، كان الفناء يزدحم بنحو عشرين طفلا ..
كلهم يتهايمسون وينتظرون . ثم يفتح الباب الخلفى بعنف . ويقفز
الوالد هاتفا ضاحكا :
« كيف حالكم يا أولاد ! »

وتلقى مولى بنفسها مع أخويها بين ذراعى الوالد .. ويروح هو
يطوح بهم ، واحدا بعد الآخر ، فى الهواء مداعبا ضاحكا ، بينما
تقف الام مبهجة كلها السعادة والابتهاج :

« حذار يا أولاد أن تفسدوا ملابس أبيكم »

ويشترك أولاد الجيران فى المرح ، ويتشابكون فى معارك
وهمية ، ويتصارعون ضاحكين ، ويجرون هنا وهناك وهم

يشعرون أنهم يستمتعون بيوم أفضل من أى يوم عطلة

ويصيح الوالد المرح :

« انتظروا .. انتظروا حتى تروا ماجئت لكم به »

ويسرع الى داخل البيت ، ثم يعود حاملا حقيبة سفر كبيرة ويفتحها ثم يوزع الهدايا البسيطة على أولاد الجيران جميعا .. وكانت الهدايا على بساطتها من الانواع التى لم يكن مثل هؤلاء الاطفال قد رأوها من قبل . لعب ميكانيكية ، وحشرات تتحرك وتزحف ، وعرائس ترقص وتتواثب ، ومجاريف ودلاء للحفر فى الرمل ، وألوان من « البلى » الزجاجى الذى تبدو فى داخله صور الكلاب والقطط .. وكانت الهدايا تكفى الجميع وتزيد .. وهكذا كان الجميع يعتبرون يوم عودة المستر جوردان من أيام الاعياد

وتهدأ الضجة فى النهاية . ويجلس جورج جوردان على سلم الفناء الخلفى ، ويتحلق الآولاد حوله ليسمعوا مغامراته . لقد كان فى هذه المرة داخل المكسيك ورأى ثورتها الكبرى . ولكنه تركها وذهب الى هونولولو وشاهد بركانها الثائر دائما . وظل يتحدث وينتقل فى الحديث من مدينة الى أخرى . ومن مغامرة الى مغامرة . ويظل الاولاد يسعدون بأحاديثه وطرائفه يوما بعد يوم كلما عادوا من المدرسة ، وكان جورج جوردان فى الواقع من الذين شاهدوا عددا كبيرا من المدن اثناء جولاته التى تستغرق كل جولة منها ستة أشهر كاملة



وعادت المس مولى جوردان تقول للمستر هوايتسيد :

- أما عن حياتى المنزلية ، فقد كنت أعيش بلا أب تقريبا .. كان يأتى مرة كل ستة أشهر ليعيش بيننا بضعة أيام .. ثم يغيب بحثا عن الرزق

وعقدت مولى يديها فى حجرها وغامت عينيها بالدموع ، وعادت تعيش مع ذكرياتها ، ولكنها فى هذه المرة أفاقت بسرعة ونظرت الى المستر هوايتسيد فى حزن ثم قالت :

- وعندما بلغت الثانية عشرة من عمرى مات أبى فى حادثة

وعادت للحياة مع ذكرياتها :

كانت زيارات أبيها تستغرق في كل مرة اسبوعين . وكان ابوها يغادر البيت بعد ظهر يوم ما ، ويمضى الى المدينة المجاورة ولا يعود الا فى ساعة متأخرة من الليل . وكانت الام تأمر أبناءها بالذهاب الى غرفة نومهم مبكرا ، ولكنهم كانوا يسمعون أباهم وهو يعود مترنحا متعثرا فى كل شىء ، وكان صوته يأتى اليهم غريبا ثقيل حزين . وكان الاطفال وهم يكتمون أنفاسهم فى الفراش ، يعرفون معنى هذا كله . كانوا يعلمون أن أباهم سيرحل فى الصباح ، وسترحل قلوبهم معه . . . ولا يعود الا بعد ستة أشهر أخرى

كانوا يستغرقون فى مناقشات لا نهائية لها عما كان يفعل أبوه فى الحياة . . كانوا يتصورونه فارسا مفوارا ، وبطلا أسطوريا ، ورجلا شجاعا يجمع بين الفضيلة والبسالة والجمال ، وكان الولدان يقولان :

— عندما تكبر ، سنذهب معه لنشاركه مغامراته لنصرة الضعيف والمحتاج . .

وكانت موللى تقول فى اصرار :

— وسوف أذهب أنا أيضا ؟

— ولكنك فتاة . . لا يمكنك احتمال المشقة !

— ولكنه سيدعنى أذهب معه ، وأنتما تعرفان هذا . ومن المؤكد أنه لن يتركنى بعيدا عنه

وعندما يغيب ، كانت أمهم تعود الى حالتها من الاهمال والحزن والتذمر الدائم والبكاء الى حد احمرار العينين والالاحاح فى المطالبة بحبهم لها ، وكأنما هذا الحب يمكن وضعه فى لفافة وتقديمه اليها

وذهب أبوه ذات مرة ولم يعد . ولم تكن عادته أن يرسل اليهم مالا أو خطابات . ولكنه فى هذه المرة اختفى تماما ، وبعد عامين من الانتظار قالت الام انه مات فى حادثة ، وارتعدت قلوب الابناء لهذه الفكرة ، ولكنهم أبوا أن يصدقوها ، لانه لا يمكن أن يموت والد لطيف شجاع كوالدهم ، لا شك أنه غائب فى مغامرة طويلة بمكان ما من العالم ، ولا شك أن هناك سببا معقولا يبرر غيابه ، ولا شك أنه سيعود ذات صباح ومعه هدايا أجمل وقصص

اعذب ، ولكن أهمهم كانت تصر على أنه لابد قد مات في حادثة . وبدأت تقرأ الاعلانات التي تغرى القراء بشراء الكتب التي تعلم ربة البيت كيف تكسب المال وهي في بيتها ، وشرع الابناء يساعدون أهمهم في صنع الازهار الصناعية من الورق الملون وبيعها . وحاول الولدان أن يبيعا الصحف . وعض الجوع أمعاء الاسرة الصغيرة أكثر من ذي قبل . ولما عجز الولدان عن الاحتمال هربا والتحقا بالبحرية ، ولم تعد موللى تراهما الا كما كانت ترى أباهما قبل اختفائه ، وكانا قد تحولا الى شخصين آخرين .. شخصين زائطين مستهترين بالقيم والمبادئ حتى لم يعد يهمها كثيرا أن تراهما

وأفاقت من ذكرياتها لتقول للمستتر جون هويتسيد :

- والتحقت بالمدرسة الثانوية ، ثم بكلية المعلمات بسان جوزيه . وكنت أقوم بالخدمة في بيت المسز الان موريت نظير طعامى ونومى ، وقبل أن أخرج ، ماتت أمى ، ولهذا أعتقد أننى يتيمة تماما

وتتمم هويتسيد برفق :

- اننى آسف

واحمر وجه موللى خجلا وقالت :

- أنا لم أذكر هذا استدرارا للشفقة يا مستر هويتسيد ، لقد أردت أن تعرف عنى شيئا ، وكل انسان لابد أن يفقدو يتيما يوما ما

- نعم . وأنا أيضا يتيم ولا شك !

وعادت موللى الى ذكرياتها :

وكانت تقوم بالخدمة نظير طعامها ونومها ، كانت تعمل خادمة طول الوقت بلا أجر ، وكانت تحصل على المال اللازم للملابسها ونشرياتهما بالعمل فى متجر عام اثناء الاجازة الصيفية ، وكانت المسز موريت تقول مبررة تصرفاتها مع اللاتى يقمن على خدمتها بلا أجر :

- اننى أدرب كل فتاة تأتى لخدمتى على أشياء ما كانت لتعرفها لو لم تقم بالخدمة عندى . اننى أعلمها ادارة البيت وفن الطهو والبراعة فى تنظيف الاوانى والاثاث والارضيات الباركيه وغير

ذلك ، بحيث يمكنها ، حين تشتغل في بيت آخر ، أن تحصل على خمسين دولارا في الشهر

وكانت موللى في المساء ، بعد أن تفرغ من غسيل الاوانى ، تجلس في فراشها وتستذكر دروسها ، حتى اذا أطفئت الانوار ، قعدت تفكر في أبيها . وكانت تعرف ان هذا التفكير نوع من الشذوذ ومضيعة للوقت ، ولكنها كانت دائما تتخيله وقد وقف بباب غرفتها ، مرتديا بذلة فاخرة وقبعة حريرية غالية ، وفي يده باقة من الورد الثمين ، ويقول : « لم أستطع أن آتى من قبل يا موللى ، ارتدى ملابسك بسرعة ، لاننا سنذهب أولا لشراء فستان سهرة فاخر لك ، ثم نمضى الى نيويورك .. هلم اسرعى ولا تقفى هكذا كالبلهاء »

وكانت هذه خيالات سخيفة .. هكذا فكرت موللى ، لان اباها مات ولا شك . ولكن .. لا .. أين الدليل على موته ؟ ما دام ليس هناك دليل قاطع ، فهو لم يموت .. بل يعيش في مكان ما بالعالم الواسع .. مكان جميل .. ولسوف يعود حتما ويسأل عن أبنائه

وقد أعربت موللى عن مشاعرها في هذا الشأن لاحدى زميلاتنا فى الكلية ، فقالت :

- اننى لا أصدق أن أبى مات .. ولكننى لا أملك أيضا الدليل على أنه حى ، ولو حدث وتأكدت أنه مات فانى لا أعرف ماذا أفعل ! ان الامر سيكون رهيبا على ، بل اننى لا أريد أن أفكر ، مجرد تفكير ، فى أن أبى مات

ولما ماتت أمها ، شعرت بقليل من الحزن وبكثير من الخجل ، لقد كانت أمها تطالب بالكثير من الحب دون أن تعرف كيف تكتسب هذا الحب ، وكانت نزواتها وسوء تصرفاتها تبعد عنها أبنائها وتنفرهم منها

وقالت موللى للمستتر هوايتسيد بعد أن تنبهت من ذكرياتها ، وحصلت على الدبلوم ، وأرسلت للعمل هنا

وقال المستتر هوايتسيد :

- هذه الطف مقابلة

— هل أفهم من هذا أننى سأعين مدرسة هنا ؟
— طبعا .. طبعا .. بل انت الآن معينة فعلا .. ولكن .. أين
ستقيمين يامسى جوردان .. لابد أن تبحثى عن مسكن مفروش
للاقامة !

وفجأة وجدت نفسها تقول بلا تفكير :

— اننى أريد الإقامة هنا

وارتسمت الدهشة فى عيني جون هوايتسيد وهو يقول :

— ولكننا لا نؤجر هنا غرفا مفروشة

— أوه .. اننى آسفة . ولكننى أردت فقط أن أقول اننى أتمنى
لو استطعت الإقامة هنا

وهنا نادى على زوجته ويللا وقال لها :

— هذه الشابة تريد أن تقيم معنا .. هنا . انها المدرسة
الجديدة

وقطبت المسز هوايتسيد جبينها وقالت :

— أظن أن هذا غير ممكن .. اننا لا نؤجر غرفا مفروشة . كما
أن الأنسة حسناء جدا وأخشى أن يضايقها ابننا الاحمق بيل . ولعله
يهمل من أجلها أبقاره . وعلى كل حال يمكنك أن تقيمي فى غرفة
النوم الثالثة بالطابق الأعلى . انها لا تتعرض كثيرا لحرارة
الشمس

وشعرت مولى فجأة أنها تبدأ حياة جديدة سعيدة حتى خيل
اليها أنها أصبحت ملكة فجأة ، فمنذ اليوم الاول احبها تلاميذ
المدرسة لانها كانت تفهمهم ، وأكثر من هذا ، عرفت كيف تجعلهم
يفهمونها ، واحتاج الامر الى بعض الوقت لكى تدرك أنها أصبحت
شخصية هامة فى مجتمع الوادى الاخضر . فاذا تناقش اثنان فى
حدث تاريخى أو موضوع أدبى أو مسألة حسابية ، ولم تنته
المناقشة الى اتفاق فى وجهات النظر ، قال أحدهما للآخر : « هلم
نعرض الموضوع على المدرسة ، فاذا لم تعرف ، فسوف تبحث
الامر فى مراجعها »

وكانت مولى تشعر بالزهو حين تدلى برأيها الحاسم فى مثل
هذه الأمور . وفى الحفلات كانت تدعى للاشتراك فى إعدادها
والتخطيط لها

وكانت في بيت هوايتسيد تعمل لمساعدة المسز هوايتسيد في المطبخ . وبعد ستة أشهر قالت المسز هوايتسيد لزوجها :

— لو كان بيل على شيء من حسن الادراك لما فكر في الزواج الا من هذه الفتاة العاقلة .. واذا كانت هي على شيء من حسن الادراك »

وأمسكت المسز هوايتسيد عن اتمام العبارة الاخيرة ، لانها ارادت أن تقول لو أن موللى على شيء من حسن الادراك لما قبلت الزواج من بيل ، لان بيل لم يكن فى رأى أمه الا طفلا أحرق كبرا . وكانت موللى فى المساء تكتب بعض الرسائل لصديقاتها اللاتي تعرفت بهن فى كلية المعلمات ، وكانت تضمن هذه الخطابات قصصا عن جيرانها ، وتعرب عن مدى سعادتها ، وقالت انها تشارك فى كل حفلة ، وتثبت جدارتها فى كل مناسبة ، وفى العطلات الاسبوعية تتجول فى التلال الخضراء وتعود بأعواد النرجس والزهور البرية لتنبئها فى حديقة البيت

أما بيل هوايتسيد الشاب الذى كان له جسم ابن الخامسة والعشرين وتفكير ابن الثامنة عشرة ، فانه ألقى نظرة سريعة على موللى ثم انطلق يجرى الى أبقاره والى أحلامه عن ماى مونرو .. تلك الغادة البضة الملفوفة الجسم ، ابنة برت مونرو ..

ولكنه لم يلبث أن استجمع شجاعته وراح يقترب تدريجيا من موللى بحكم اقامتها مع أسرته . وهكذا راحا يتبادلان الاحاديث بين الحين والآخر فى الشرفة الكبيرة بالبيت .. وفى ذات ليلة كانت السعادة تغمر قلب موللى وتدفعها الى الحديث عن أبيها وعن آمالها فى أن يكون على قيد الحياة . وكان الاثنان جالسين فى الشرفة ينتظران بزوغ القمر . وحدثته عن زيارات أبيها .. ثم عن اختفائه المفاجيء .. ثم أردفت قائلة باكية :

— أترى يا بيل ؟ ان أبى اللطيف يعيش فى مكان ما .. انه أحب الناس الى .. وأنا أعيش على أمل لقائه يوما .. لابد أنه سيأتى يوما .. أليس كذلك ؟

وهز بيل كتفيه وقال :

— ربما .. ولكننى فهمت من أقوالك أنه حمار لا يقدر المسئولية

٠٠ ومعدرة يا مولى ٠٠ واذا كان حيا ، فلماذا لم يرسل أى خطاب على الاقل ؟

وشعرت مولى بالبرودة تسرى فى جسمها ٠٠ ونظرت الى بيل فى دهشة كأنما تراه لأول مرة ، حقا كانت تعرف أنه ليس ذكيا كأبيه ولا خفيف الظل كأمه ٠٠ ولكنها كانت تنظر اليه ، رغم هذا ، باعتباره زوج المستقبل ، اذا فشلت فى اقتناص الشاب الوحيد الهادئ بات هامبرت

ولكن عبارة بيل عن أبيها جعلتها تؤمن أنه آخر رجل يصلح للزواج منها ، واذا كان حقا ما يقال عن افتتانه بمای مونرو ، فليذهب معها الى الجحيم

ونفضت متوترة الاعصاب وقالت ببرود :

- نعم ٠٠ انك على صواب ٠٠ سوف أدخل الان لانى تذكرت أن على اعداد دروس الغد ٠٠

ومنذ ذلك الحين لم تحاول أن تجلس مع بيل على انفراد ٠٠ ولكنها فى الوقت نفسه أخذت تضاعف من اهتمامها ببات هامبرت كلما التقت به فى احدى الحفلات أو فى احدى الزيارات

وكان هناك على قمة تل مرتفع من التلال المحيطة بالوادي الاخضر ، كوخ خشبي قديم يشرف على الوادي وعلى جميع الطرق المفضية الى الوادي ٠ وكان يقال ان قاطع الطريق فاسكويز قد شيد هذا الكوخ واختبأ فيه عاما بينما كان رجال الشرطة يبحثون عنه فى كل مكان ، وكان الكوخ من معالم الوادي ٠٠ كل من فيه يذهب الى قمة التل لرؤية الكوخ وكأنه مكان تاريخى جدير بالمشاهدة ، ولهذا كان كل واحد فى الوادي يسأل مولى :

- هل رأيت كوخ فاسكويز قاطع الطريق :

فتهرأ رأسها وتجيب بالنفى ثم تردف قائلة :

- ولكننى سأذهب اليه يوما ٠٠ يوم سبت ٠٠ وانى أعرف الطريق اليه

وفى ذات صباح ، ارتدت ملابس الرحلات ، ولما رآها بيل ، قال لها :

- هل أذهب معك ؟

- لا ٠٠ ان لديك عملا فى المزرعة

- ان العمل لا يهم ٠٠

- ولكننى أفضل أن أذهب بمفردى ٠ اننى لا أريد أن أجرح شعورك يا بيل

ثم قالت لنفسها كأنما تبرر موقفها الخشن منه :

« اننى أريد أن أقوم بمغامرة ٠٠ واذا جاء بيل معى ، فلن تكون مغامرة ، وانما مجرد رحلة عادية ٠٠ »

واستغرقت الرحلة ساعة ونصف ساعة حتى وصلت الى الكوخ الخشبي وكان الطريق محفوفاً بأشجار الزيزفون ، ومفروشاً بأوراقها اللامعة ، والجو حاراً مفعماً بأريج السرخس والزهور البرية ولما وصلت مولى الى الكوخ أخيراً ، وجدته قائماً فى ساحة مبسوطة على قمة التل ، لم يكن غير غرفة واسعة بلا نوافذ ومدخل بلا باب ، وكان المكان هادئاً فيما عدا همهمة الجنادب وطنين النحل ، كما كان جانب التل كله يسبح فى ضوء الشمس

وتقدمت مولى على أطراف أصابعها نحو المدخل وهى تقول لنفسها :

- اننى الان أستمتع بمغامرة ٠٠ اننى فى قلب مغامرة فعلاً ٠٠ فى الكوخ الذى كان فاسكويز يختبئ فيه

وحملت داخل الكوخ ورأت سحلية تمرق فى شق من جداره ، وكان نسيج العنكبوت يتدلى من السقف بكثافة ٠ ولم يكن بالكوخ شئ آخر ٠٠ مجرد أرضية من الطين المتعفن الرطيب ، وجدران متآكلة ، ورائحة الجو الرطيب المحروم من الشمس سنوات وسنوات وقالت تحدث نفسها :

- هنا كان فاسكويز يرقد ليلاً ويرهف السمع الى الرجال الزاحفين ، ثم يمضى الى مدخل الكوخ كالشبح ثم يختفى فى الظلام

ونظرت الى الوادى ٠٠ الى حدائق الفاكهة ٠٠ والى حقول القمح الذهبية ، والى المراعى ٠٠ والى التلال القائمة السابحة فى عطر الازهار ٠ وبين المزارع كانت الطرق تتلوى وتنطف وتضعد وتهبط وفوق الوادى كله كانت تنتشر غلالة من حرارة الصيف ، وهمست مولى لنفسها :

— كأننى أعيش فى خيال جميل .. اننى أعيش فى قصة .. فى
مغامرة حقيقية

وهبت نسيمات من الوادى كأنها آهة ندت عن نائم .. ثم
تلاشت .

وعادت تقول لنفسها :

— وفى النهار كان ذلك المغامر فاسكويز ينظر الى الوادى كما
أفعل الآن ، ولعله كان يقف حيث أقف هنا ، وينظر الى الطرقات
الملتوية . ولعله كان يرتدى صدرية مموهة بخيوط الذهب ،
وسراويل مشدودة على ساقيه ومتسعة فى أسفل كأفواه النافورات،
ومهمازие مكسوان بالشرائط الحريرية حتى لا يصدر عنهما صوت .
.. ثم يرى رجال الشرطة وهم يمضون بعد أن يئسوا من العثر
عليه . ومن حسن حظه أن هؤلاء الرجال كانوا لا يرفعون أنظارهم
الى أعلى ، والا لشاهدوه فى وقفته . ولعله كان يضحك .. وأحيانا
يشعر بالخوف . ومن المؤكد أنه كان يرفع عقيرته .. لعله كان يغنى
أحيانا أغنيات رقيقة حزينة لانه كان يعلم أنه لن يعيش طويلا

وجلست موللى على حافة صخرة وأراحت ذقنها على كفيها ، وخبل
اليها أن فاسكويز الشاب واقف بجوارها ، وأن له وجه أبيها—
الضاحك ، وعيناه المتألفتان وهو يصيح « هيا يا أولاد .. »

ونفضت موللى واقفة وقالت لنفسها :

— لقد حان وقت العودة ..

والتقى بيها بيل وهى عائدة ، فقال لها :

— ظننا أنك أصبت فى كاحلك أو ساقك ، ولهذا كنت ذاهبا
للبحث عنك . هل ذهبت الى الكوخ !

— نعم

— انه مجرد كوخ قديم عادى .. لدينا من مثله أكثر من عشرة
أكواخ فى أنحاء الوادى .. كانت لبعض الافاقين الذين لا يمكنون
فى مكان واحد أكثر من بضعة أسابيع . ولكن العجيب أن عدده
كثيرا من الناس يذهبون اليه ، مع أنه لا يجد دليلا أكيدا أنه
فاسكويز أقام فيه

فقالت موللى فى استنكار :

- لا ٠٠ بل أعتقد أنه كان مختبئا فيه حقا

- على أى أساس بنيت هذا الاعتقاد ؟

- لا أدري

وقال بيل جادا :

- كل انسان يعتقد أن فاسكويز كان بطلا ، بينما هو فى الحقيقة لم يكن أكثر من لص وقاطع طريق . لقد بدأ حياته سارق أغنام وجياد ، وانتهى الى سرقة المركبات وقطع الطريق . وأعتقد أنه قتل عددا من الناس ويبدو لى يا موللى أن علينا أن نعلم الناس كيف يكرهون اللصوص لا أن يجعلوا منهم أبطالا

وقالت موللى فى تعب :

- طبعا ٠٠ طبعا يا بيل ٠٠ انك على حق . ولكن أرجوك أن تكف عن الحديث قليلا لانى متعبة متوترة الاعصاب

ومرت الايام وموللى تزداد مكانتها فى مجتمع الوادى الاخضر ٠٠ وقد بلغ من أهمية مكانتها أنها كانت تجتمع مع الذين يحضرون الى غرفة مكتب المستر هوايتسيد فى مختلف الشئون التى تهتم سكان الوادى ، ولا سيما شئون الزراعة والتعليم ، فاذا انتهى الحديث الجاد ، ظلت جالسة لتشارك فى الاحاديث العادية الخاصة بالمحاصيل الزراعية وآخر الانباء الاجتماعية وغير ذلك مما يدور بين المجتمعين فى قاعة للاستقبال

وكان برت مونرو قد انتخب عضوا فى مجلس ادارة المدرسة ، وأبدي من النشاط والاهتمام ما جعله من أنشط الاعضاء وأكثرهم أهمية . وكان هو الذى اقترح اقامة الحفلات الراقصة فى المدرسة ، وأصر على أن يقوم التلاميذ وبعض السكان بالرحلات الخلوية ، وبتقديم بعض المسرحيات التاريخية والعالمية فى نهاية الموسم المدرسى بل كان هو الذى اقترح تقديم بعض الجوائز المالية لاحسن التلاميذ علما وأخلاقا ونشاطا مدرسيا

وفى ذات مساء هبطت موللى من غرفتها الى قاعة المائدة . وكان مجلس الادارة مجتمعاً فى مكتب المستر هوايتسيد . ولكنها قالت للمستر هوايتسيد :

- اننى لن أدخل الليلة ٠٠ سوف أدعهم يتحدثون بحريتهم وبلا

خرج من وجود سيده بينهم ، فأنا أحيانا أشعر أنهم يريدون أن يتبادلوا قصصا لا ينبغي أن تسمعها سيده

ولكن المسز هوايتسيد قالت بحزم :

- بل ادخلي يا موللي ، ان مجلس الادارة لن يكون ذا فائدة بدونك لقد اعتادوا على وجودك بينهم ، وعدا هذا فانا لا أحب أن يتبادلوا تلك القصص البذيئة فيما بينهم

وطرقت موللي الباب ودخلت . وتوقف برت مونرو عن القصة التي كان يسردها . ثم قال :

- كنت أحدثهم عن العامل الزراعي الجديد الذي استخدمته يا مس موللي . وسوف أبدأ حديثي عنه من جديد . . . لانه حديث طريف . لقد كنت محتاجا الى عامل زراعي ، وعثرت على هذا الرجل راقدا تحت جسر ليناس . وكان غائبا عن الوعي من فرط السكر ، ولما أفاق بعض الشيء ، علمت منه أنه في حاجة الى عمل . وألحقته بالعمل معي ، ولكنني وجدت أنه لا يساوي مليما واحدا الا أنني لا أستطيع أن أتخلص منه ، انه شخصية عجيبة شاهدت كل شيء وذهبت الى كل مكان . يكفي أن يسمعه أحد يتحدث عن مغامراته ورحلاته والاعمال التي مارسها والاماكن التي شاهدها ، فيتعلق به ولا يطيق فراقه . ان أولادي أصبحوا متعلقين به الى حد أنهم يرفضون أن أطرده حتى لو رغبت في طرده . انهم يجلسون أمامه وينصتوا اليه في شغف وذهول . وهو يذهب الى ساليناس مرتين في الشهر ويسكر حتى يفقد الوعي . انه واحد من هؤلاء المساكين المدمنين للخمر ادمانا دوريا . . اعني أنه لابد منها كل يوم ، وانما بين الحين والآخر . وكثيرا ما أرسل الى رجال الشرطة في ساليناس لكي أذهب وأحملة في مركبتى مخمورا . وعندما يفيق من سكرته ، نفاجا ببعض الهدايا التي يحملها في جيبه لنا وللأولاد . ان الانسان لا يستطيع الا أن يحب رجلا كهلا رغم أنني لم أستفد منه عمليا بما يساوي دولارا واحدا

وشعرت موللي بالغثيان والالام . . ان هذه الاوصاف تنطبق على أبيها تماما . . وكان الرجال يضحكون عاليا ، بينما قال واحد منهم :

- انك رقيق القلب أكثر مما ينبغي يا برت . وليس من المعقول أن تستبقى رجلا لتسلية أولادك . . يجب أن تتخلص منه في أسرع وقت

ونهضت مولى واقفة وهى تخشى أن يفطن أحد الى حالتها أو أن يسأل أحد عن اسم هذا الرجل ، وقالت معذرة :

- اننى أشعر بالتعب الليلة يا سادة ، وأرجو أن تسمحوا لى بالصعود الى غرفتى

ووقف الرجال احتراماً لها فى أثناء خروجها ، وألقت برأسها على الوسادة فى غرفة نومها وراحت تهتف :

- لا . . لا . . ليس هذا معقولا . . مستحيل أن يكون هذا الافاق السكير أبى . . ان أبى سيعود مرتدياً بذلة فاخرة وفى يده باقة من الازهار النادرة يقدمها الى معتذرا عن غيبته الطويلة

وكانت الايام التالية مثار فزع لها . . كانت لا تخرج من البيت الا الى المدرسة . واذا سارت فى الطريق للمدرسة ، تلفتت حولها ومدت البصر الى الامام وهى على استعداد اذا وقعت أنظارها على رجل غريب عن الوادى . ولكنها كانت تقول لنفسها : « لا . . اننى حمقاء . . لا داعى لكل هذا الخوف . . ليس من المعقول أن ينحدر أبى الى هذا الحد ! »

ومع هذا لم تكن تشعر بالامان الا فى غرفتها . وشحب وجهها من فرط القلق ، وانطفأ البريق من عينيها ، وبدأت كأنها تعاني من مرض خفى

وكانت المسز هوايتسيد تعنى بها وتساألها دائماً عن سبب شحوبها وتعرض عليها أن تستدعى طبيباً لفحصها . ولكنها كانت دائماً تشكرها وتؤكد لها أنها بخير .

ولما لم يحضر برت اجتماع مجلس الادارة التالى ، شعرت بفيض مفاجئ من السعادة ، وارتد البريق فجأة الى عينيها حتى ان بات هامبرت نظر اليها وقال فى خجل :

- انك الليلة أحسن حالا يا مس جوردان . .
وقالت ضاحكة :

- آه . . نعم . . كنت متوقعة فى الايام الماضية . . ويبدو أنها

نوبة برد أهملت التحصن منها

وبعد ساعة من الاجتماع ، اذا برت مونرو يقبل ويقول معذرا :

- لقد تأخرت عنكم .. الواقع أنني فى الطريق اليكم عندما جاء أحد رجال الشرطة من ساليانس وأخطرنى أن العامل الزراعى الجديد موجود بسجن المدينة بتهمة السكر والعريضة ، وقد جئت لاستأذن منكم فى الذهاب لاستلامه

وشحب وجه مولى فجأة .. وانطفأ البريق من عينيه مرة أخرى ، ولكن بات هامبرت قال لبرت مونرو :

- أعتقد أن مجتمعنا هنا يا مستر مونرو لا يتسع لمثل هذا النوع من الافاقين والسكريرين .. أما المدينة فانها تتسع لامثاله وقال برت فى ارتباك :

- نعم .. نعم .. ولكننا نعطف عليه فقط

- ان العطف عليه سيزيده امعانا فى هذا السبيل .. أما اذا أردت أن تخدمه ، فيجب أن تذهب اليه ، وأن تعمل على حماقه باحدى المصحات الخاصة بدممنى الخمر .. وهناك سيجعلون منه رجلا جديدا جديرا بالحياة فى المجتمع البشرى

ونظر برت الى الجميع كأنه يريد أن يأخذ الاصوات .. وأدرك المجتمعون ما يريد منهم ، فزفت الاغلبية أيديهم بالموافقة على اقتراح بات هامبرت

وفجأة قال بيل هوايتسيد :

- ولكنك لم تخبرنا يا مستر مونرو حتى باسم هذا العامل !

وقبل أن يرد برت مونرو ، كانت مولى تعتذر عن البقاء بتعب مفاجئ ، وتسرع بمغادرة الغرفة وهى تشعر بمزيد من النفور من بيل ، وبمزيد من الميل الى بات هامبرت

وتهدت فى ارتياح وهى تأوى الى غرفتها وتقول لنفسها :

- ما أشد حماقتى .. كيف أفكر أو أتصور أن مثل هذا الافاق السكرير يمكن أن يكون أبى الغائب !

البيت المكسو بالزهور

كان والدات هامبرت قد تجاوزا الاربعين من العمر عندما ولداه . ومن ثم كان كل منهما قد تجاوز الستين وامتلأ جسمه بالامراض ونفسه بالعقد قبل أن يصل هو الى العشرين . وهكذا عاش هذا الابن الوحيد ، منذ طفولته ، في جو من الشيخوخة والمرض والتذمر والشكوى . وكان والداه ، وهو ينمو ، يحتقران آراءه لانه صغير غير مجرب ، وكانا يقولان له دائما :
« عندما تبلغ من الكبر ما بلغنا فسوف تتغير نظرتك للامور »

وبعد ذلك كانا يحتقران شبابه لانه وصل اليه بلا كفاح أو مصاعب أو عقبات . أما شيخوختهما فهي امتياز يجعلهما يصلان الى حد القداسة ، لانها زاخرة بتجارب الحياة والنظرات الصائبة والكفاح المضنى . بل ان مرض الروماتزم الذي أصيبا به اعتبرا ثمنا لما أضفته عليهما الحياة من الحكمة وقدرة الاحتمال ، وكانا يوهمان بات دائما بأنه ليس للشباب أية ميزة أو فضيلة . بل انه تعثر ومحاولات للوصول الى عالم الحكمة والاستقرار في سن الشيخوخة

ولما بلغ بات السادسة عشرة ، حمل على عاتقه كل العمل في المزرعة ، وكل العمل في البيت المكون من أربع غرف : غرفة مغلقة دائما ، كانت تستعمل لاستقبال الزائرين ، وغرفة جلوس تشيع فيها دائما روائح الادوية والمراهم والعقاقير ، وغرفتان للنوم . ثم المطبخ الكبير الرحيب

وكان الوالدان العجوزان يجلسان على مقعدين مزودين بالحشايا ومتأرجحين ، ويشكوان في مرارة اذا لم يترك بات عمله في المزرعة بضع مرات كل يوم ليضرم النار في المدفأة وعاش الاثنان حتى بلغ بات الثلاثين من عمره . وكانا في أواخر أيامهما يزدadan سخطا على الحياة ، وتشبثا بها . ولكن

بات عاش شهريْن فى عذاب رهيب .. عذاب تمرىض والدته
ثلاثة أسابيع حتى وافاه الاجل المحتوم ، وما كادت توارى الثرى ،
حتى أصيب أبوه بالتهاب رئوى ، وبقي بات بجانبه يمرضه الى أن
سلم نفسه فى النهاية لملك الموت

وانصرف المشيعون فى مركباتهم بعد أن صافحوا بات وواسوه
.. وبقي هو فى المدافن ينظر الى قبرى والديه دون أن يدري ماذا
يفعل بعد أن تبين لأول مرة فى حياته أنه لم يعد هناك من يطلب
منه شيئاً !

وكانت بوادر الخريف فى الجو .. ريجه التى تهب فجأة ثم
تتلاشى . وكانت الحمام البرية تجلس فى صف طويل على سياج
المدافن .. صامتة .. ساكنة وتحركت قطعة من ورق بنى اللون
وتعلقت بقدم بات ، فانحنى وانتزعها وألقى بها بعيداً . وسمع
قعقة عجلات تقف بباب المدافن ، ثم رأى المستر آللين صاحب
المتجر العام يتقدم نحوه ، ويقول فى شيء من الحرج :

– لقد ظننا أنك ستذهب الى أى مكان الليلة .. فإذا شئت
يمكنك أن تأتى للعشاء معنا .. ويمكنك أيضاً أن تبتي ليلتك فى
بيتنا

وأفاق بات من ذهوله ثم قال :

– أعتقد أنه ينبغى أن أرحل من هذا المكان .. ولكننى لا أدري
.. ان هذه أول مرة أشعر فيها أنى وحيد تماماً فى الحياة ..
– كل شيء يبدو فى أوله صعب غير مألوف .. ولكنك ستألف
حياتك الجديدة الى أن .. أن ..

وتوقف أللين عن الحديث وقد رأى أن التحدث عن الزواج فى
مثل هذه الظروف غير لائق ، ومن ثم قال مستدركا :

– لماذا لا تأتى وتقضى معنا الليلة فى البيت ؟

وقال بات كأنه يتحدث عن ذكرى :

– اننى لم أتناول العشاء خارج البيت ولا مرة واحدة فى
حياتى

ثم أوماً الى القبرين وقال مردفا :

– كانا يكرهان الخروج بعد الغروب لان هواء الليل كان
يؤذيهما

وقال آللبن :

- لعل الوقت قد حان لتناول عشاائك خارج البيت • ولست أرى أن تعود وتبيت ليلتك فى بيتك الساكن الخالى •• ان على الانسان أن يرفعى مصلحته الخاصة بين الحين والاخر وتناول ذراعه ومضى به نحو بوابة المدافن وهو يقول :

- اتبعنى فى مركبتك

ولما خرجا ، وجد آللبن نفسه يقول بحكمة :

- من المناسب أن يموت الانسان فى الخريف •• أما فى الربيع ، فإن كل انسان يجب أن يستمتع بمنظر الازهار وهى تتفتح ، وبالحياة وهى تتجدد ولكن بات هز رأسه وقال :

- ما كان هذا يهمهما فى شئ يا مستر اللين • بل لم يكن يهمهما حتى أن يسألا عن المحصول • وكانا يكرهان المطر لانه يثير آلامهما الروماتزمية ، ولكنهما كانا يتشبهان بالحياة •• ولا أدرى لماذا ؟

وكانت مائدة العشاء فى بيت المستر آللبن تحمل شرائح من اللحم البارد ، وبطاطسا مشوية بالبصل ، وثريد الخبز بالعنب ، وكانت المسز آللبن تحاول مواساة بات بالحديث عن فضائل والديه فتحدثت عن كيف كانت أمه طيبة القلب ، تحب الناس ، وكيف كان أبوه كريما مبسوط اليد ، ولا يرد عن بابه ذا حاجة • ولكن بات كان يعرف أنها تكذب فى حديثها عنهما لتسرى عنه • ولم يكن هو فى حاجة الى هذه التسرية • بل انه لم يكن يشعر بالحزن العميق لان حالة الذهول كانت تسيطر عليه ••

ولكن هذا الذهول لم يكن يمنعه من التفكير فى غرفات البيت •• غرفة الجلوس المشبعة الجو بروائح العقاقير والادوية والمراهم ، وغرفة الاستقبال المغلقة دائما كأنها غرفة للشباب •• وغرفة النوم التى مات فيها والده ، الواحد بعد الآخر ، وغرفة نومه التى لم يسترح فيها ليلة واحدة بنوم عميق • كان يشعر بالرهبة من العودة الى هذه الغرف • كيف سيمكنه الحياة فيها •• وكيف سيقدم على تنظيفها •• وكيف سيواجه أشباح والديه فى كل شئ يراه أو يلمسه !

والج عليه آآلن أن يبيت ليلته معه • ولكنه اعتذر شاكرا
وودعهما واستقل مركبته • وكانت الليلة مظلمة لا يضيئها غير
نجوم خافتة تلمع بين الحين والآخر من فرجات السحاب • وخطر
بباله أن يمشى الى بيت المستر هوايتسيد ليتحدث معه ومع زوجته
• • ومع المدرسة الجديدة ، المس مولى جوردان • لقد تحدث معها
بضع مرات ، وشعر فى كل مرة أنه يستريح الى حديثها والى
آرائها لا سيما فى اجتماعات مجلس الادارة التى كان يحضرها
خلصة عن والديه

وأفاق من أفكاره على دققة حوافر جواده • وعلى صيحات
طيور الليل ، وعلى ترفيف الرياح بين الاغصان • ولكن صوت
والديه كان أوضح فى أذنيه عندما كان والده يقول : « لسوف
تسقط الثلوج غدا • وأنا أكره الثلوج أكثر من كراهيتي
للغيران » • وترد أمه قائلة « بمناسبة الحديث عن الغيران ، فأنا
أشعر بأنهم فى غرفة الخزين • وأنا لا أدرى هل وضع بات الفخاخ
هذا العام أم لا • انه عتاد أن ينسى كل شئ فى هذه الايام »

ويرد بات عليها قائلا : « لقد وضعت السم فى المخزن • ان
الفخاخ لم تعد تجدى »
وتقول الام بصوت كله الشكوى « ان القطة خير من هذا وذاك ،
ولا أدرى لماذا لا يكون لدينا قط أو اثنان »

ويرد بات قائلا : « حاولت كثيرا أن أقتنى قطة ، ولكن القطط
تهرب دائما من هذا البيت »

وكان البيت متشحا بسواد الليل موحشا عندما وصل اليه ،
وأشعل بات المصباح البترولى وأضرم النار فى مدفأة المطبخ
الكثيية ، وفيما كانت ألسنة النار تتراقص فى المدفأة ، تراخى فى
مقعد وثير وشعر بالراحة الكاملة • وخطر بباله أنه ليس أفضل ولا
أعذب من أن يحضر سريره الى المطبخ وينام بجوار المدفأة • أما
تنظيف البيت فيمكن ارجأؤهما الى وقت آخر

ولما فتح باب غرفة الجلوس ، استقبلته موجة من الرطوبة
والهواء البارد الموحش ، وانسابت الى أنفه روائح زهور الجنائز
ممتزجة بروائح العقاقير وفتح باب غرفة نومه وأسرع بحمل

سريره الصغير الى ذلك المطبخ

وبعد قليل أطفأ بات المصباح وأوى الى فراشه مستمتعا بالدفع
وبصوت تكسر الوقود فى النار . وساد السكون برهة . ثم اذا
هو يخيل اليه أن البيت ازدحم بأرواح شريرة معادية . واكتشف
بات أنه متوتر الاعصاب بارد الجسم . كان يرهف السمع الى
غرفة الجلوس . الى صرير الكرسي المتأرجح وغطيط أبويه
النائمين . وارتفع صرير فى أحشاب البيت . ورغم أن بات كان
يرهف السمع ليسمع شيئا ، الا أن الصرير جعله يقفز من سريره
فزعا . ولم تحتل ساقاه المرتعشتان ، فعاد يجلس وقد تفصد
العرق من أنحاء جسمه ، واندس بين أغطية الفراش وهو يحس
بالعزلة والوحشة . وكان الليل ساكنا

وفى الصباح التالى استيقظ بات وهو يشعر أن هناك واجبات
ينبغي أن يؤديها . وحاول أن يتذكر هذه الواجبات . آه . انها
عملية ترتيب وتنظيف البيت . ان المائدة التى يوضع عليها
الكتاب المقدس مقلوبة ، وأنيات الزهور الدائمة النضارة فى غير
مواضعها . وجميع الغرفات فى حاجة الى تنظيف وترتيب .
وكان بات يعرف أن عليه أن يقوم بهذا كله رغم احساسه الشديد
بالنفور من القيام بهذا العمل . وتحسس بيده على مقبض باب
غرفة الجلوس . ولكن يده توقفت عن الحركة . ان عقله ينفر من
مجرد النظر الى المقعدين المتأرجحين . والى المدفأة الخاملة ، والى
بعض الكتب المتناثرة . والى الآنية المقلوبة . والى كل شئ
يذكره بوالديه

ولكن لا بد أن يقوم بواجبه مهما تكن مشاعره !

وأضرم النار مرة أخرى فى مدفأة المطبخ ، وبعد أن تناول طعام
الافطار وراح يشرب القهوة ، أخذ يفكر تفكيراً منطقياً متسلسلاً
لم يكن لديه عهد من قبل . وشعر بالدهشة البالغة من هذه
الافكار العجيبة التى بدأت تتردد على ذهنه
وقال لنفسه :

« لماذا يجب أن أدخل هذه الغرفات ؟ ألم يعد البيت بيتى ؟
أليس من حقى أن أدخل غرفاته أو أرفض الدخول ؟ هل هناك من

يهمة أن أدخل أو أبقى حيث أنا ؟ »

وشعر في تلك اللحظة بأحاساس الصبي الذي يهرب من الذهاب الى المدرسة ليمضى فى الغابات حرا طليقا ..

ولكن صوت أمه لم يلبث أن طرد هذه الافكار من ذهنه :

« يجب يا بات أن تنظف البيت • انك لم تعد تهتم براحتنا .. »
واستشاط بات غضبا .. وامتلأت نفسه بالمقاومة والتحرر ، ورد على صوت أمه قائلا :

« ان أمى ماتت .. وان هذا الصوت نابع من مكان شرير يريد أن يعذبنى ، اننى الان حر .. أفعل ما أريد بلا أوامر من هنا أو من هناك • ولن يعرف أحد قط ما اذا كنت نظفت ورتبت البيت أم لا • اننى لن أدخل هذه الغرفات .. أبدا .. أبدا »

وقبل أن يتراجع عن عزمه ، اسرع وأغلق باب غرفة الجلوس بالمفتاح من الخارج ، وألقى بالمفتاح فى دغل من البوص وراء سياج المطبخ • ثم دار حول البيت وأغلق المصاريع الخشبية للنوافذ وثبتها بالمسامير الطويلة ، فيما عدا نوافذ المطبخ

ولكن بهجة حريته الجديدة لم تستمر طويلا ، ففي أثناء النهار كان العمل فى المزرعة يستغرق كل تفكيره ، ولكنه لا يلبث قبل أن يأتى المساء ، أن يشعر بالوحشة الى واجباته القديمة التى كانت تجعل اليوم يمضى سريعا • وكان فى الوقت نفسه يشعر بالخوف من العودة الى البيت • حقا لقد اغلق الابواب والنوافذ على الاشباح العابثة فيه ، ولكنه لم يگن قادرا على منعها من ازعاج تفكيره

وفى تلك الليلة ، بعد أن فرغ من اعداد عشائه ، جلس بجانب المدفأة وهو يشعر بالوحشة والعزلة • وراح ينصت الى الاصوات المستترقة فى البيت ، الى الهمسات الخفية والطرقات الرقيقة المترددة • وقد بلغ من تركيز سمعه أنه بدأ يسمع أرجحة المقعدين وحفيف نزع سدادة من زجاجة دواء ، ولم يستطع احتمال هذا الموقف طويلا ، فنهض الى مرتبط الجواد وشده الى المركبة وانطلق به الى متجر المستر أللين

وكان هناك ثلاثة رجال جالسين حول مدفأة مضرمة النار •

وأفسحوا له مكانا بينهم • ولم يحاول أحدهم أن ينظر الى بات ، لان النظر الى رجل فى ملابس الحداد لا يليق كالنظر الى رجل على كرسى متحرك • وجلس بات وحملق فى المدفأة وقال للمستتر أَللين :

- ذكرنى لآخذ معى كيسا من الدقيق

وأدرك الرجال جميعا ما يعنى • كانوا يعرفون أنه فى غير حاجة الى دقيق ، ولكن كلا منهم ، فى ظروف كهذه ، ما كان ليفعل غير ما فعله بات • لابد ان يكون عميلا أولا لصاحب المتجر اذا أراد أن يجد لنفسه مكانا فيه

وقال أَللين وهو يحرك جمرات النار فى المدفأة :

- لا شك أنك تشعر بالوحشة وأنت تقيم بمفردك فى بيتك الكبير • ولكن هذا الشعور لن يلبث حتى يزول
وقرر بات أن يشكر أَللين على كلماته المواسية ، عمليا ، بقوله :
- وأنا أيضا فى حاجة الى كيس تبغ وبعض الذخيرة لبندقية الصيد

وقرر بات أن يغير اسلوب معيشته وأن يسعى الى التعرف بالناس والحياة بينهم ، فكان فى أثناء النهار يعمل جاهدا فى مزرعته ، وفى الليل يبحث عن أية مجموعة من رجلين أو ثلاثة لينضم اليهما • سواء كانوا فى متجر أَللين أو بيت أحد سكان الوادى واذا أقيمت احدى الحفلات الراقصة فى المدرسة كان بات أول الحاضرين وكان آخر المنصرفين

وفى الاجتماعات التى كانت تعقد فى بيت هوايتسيد ، كان بات يحضرها جميعا • ولما بدأت المس مولى جوردان تحضر هذه الاجتماعات ، ابتداء يشعر بجمال الحياة ، وراح يختلس النظرات الى مولى وهو يرى أنها امنية من أحمل الامانى التى يتمنى أى شاب فى مثل ظروفه أن تتحقق له بالزواج

وبلغ من شغفه بالاجتماعات أن أصبح خبيرا فى خلق المناسبات المثيرة التى يجتمع من أجلها رجال ونساء الوادى ، وكان يحاول دائما أن يلفت الانظار اليه ، ويشعر الجميع بوجوده فى كل اجتماع منها

وكان من ناحية الشكل شابا عاديا ٠٠ لا هو بالوسيم السدى
يفتن العذارى ، ولا هو بالدميم الذى ينفر الناس منه ٠٠ ولكن كان
وجهه ينم عن خيبة القلب وصفاء النفس ونقاء المعدن ٠٠

واستطاع بات بعد سنوات معدودة من وفاة والديه أن يدخر
بضعة آلاف من الدولارات ٠٠ كانت نفقائه قليلة ، وكانت المزرعة
تزدهر تحت عنايته وبفضل انكبابه على العمل فيها ، أما البيت ،
فكان يعيش فى مطبخه الواسع الرحيب ٠٠ يأكل فيه وينام ٠٠
ولا يحاول قط أن يدخل غرفات البيت الأربع بعد أن أغلق
أبوابها ونوافذها

وتصاعدت أعواد الياسمين على جوانب البيت ٠٠ وأهمل بات
أمرها ، وراحت الاعواد تتكاثر وتنتشر وتلتف على جدران البيت
وسقفه حتى أوشكت أن تغطي كل جزء منه ٠٠ فى الربيع والصيف
وبوادر الخريف كانت الازهار البيضاء العطرة تنشق بين الاوراق
والاعواد بكثرة مذهلة تجعل الناس الذين يمرون فى الطريق أمام
البيت يتوقفون وينظرون اليه فى دهشة واعجاب ويتمنون لو كان
لكل منهم بيت رائع مثله !!

وكذلك كانت حديقة الفاكهة الملحقة بالمزرعة من أجمل وأخصب
حدائق الوادى كله ٠ وكان بات شديد الاهتمام بالشليك ٠ وكانت
ثمارة فى حديقته تنضج قبل أوانها ببضعة أسابيع ، ومن ثم كان
يبيعها فى اسواق مونتريرى بأسعار مرتفعة

وفى ذات يوم من أيام الصيف الاولى ، كان بات مشغولا بالعمل
فى حديقته ٠٠ وكان يعمل وراء صف من الاشجار الواقعة على
مقربة من الطريق العام ، وفجأة سمع صوت فتاتين تتحدثان وهما
تقتربان فى الطريق ، وعرف الفتاتين من صوتهما رغم أنه كان
مختفيا وراء مجموعة من الاشجار ٠٠ عرف انهما ماى مونرو ، ابنة
برت مونرو الوافدة الجديد على الوادى ، والمس مولى جوردان
المدرسة الجديدة

وأرهف بات أذنيه حين سمع مولى تقول لماى :

- انظرى يا ماى ٠٠ ما أجمل هذا البيت المكسو كله بأزهار
الياسمين ؟ اننى فى حياتى لم أر بيتا أجمل من هذا

وردت ماى ضاحكة :
- ألا تعرفين بيت من هذا ؟

.. لا ..

- انه بيت ذلك الشاب الوداع بات هامبرت !
- أحقا ؟ لم اكن أعرف أنه يقيم فى بيت جميل الى هذا الحد ..
ترى هل هو من الداخل جميلا هكذا ..
وخيل الى بات أن ماى هزت كتفيها وهى تقول :
- الواقع أن أحدا لم يدخل بيته منذ سنوات .. حتى قبل وفاة والديه

- لا شك أنه بيت من الطراز الفيومنتى .. الطراز الذى يجعل الانسان مستريحا فيه وكأنه فى جنة

وقالت ماى :

- اننى لم أر فى حياتى بيتا من هذا الطراز يا مولى ..
- كان أبى يحدثنا عنه كثيرا .. يحدثنا عن نوع مدفأته ..
وعن مقاعده الوفيرة .. وسجاجيده .. وألوان جدرانها ..
والاشياء الصغيرة التى تزينه .. و ..
وصممت مولى برهة ثم أردفت بصوت حالم :
- وما اكثر الليالى التى كنت أحلم فيها بالاقامة فى بيت من هذا الطراز ..

وتلاشى صوت الفتاتين مع ابتعادهما فى الطريق .. وشعر بات أن آخر أمل له فى الزواج من مولى يتلاشى مع صوتها ..
وخيل اليه أن أصابع باردة تعتصر قلبه وهو يتصور ماذا يحدث لو طلبت مولى منه أن يعقدوا أحد اجتماعات مجلس الادارة فى بيته لكى تراه من الداخل ؟ ماذا يستطيع أن يفعل أو يقول لو حدث شئ من هذا ؟

وماذا يمكن أن تقول مولى لو .. لو حدث وعرفت أن ذلك الكساء من الزهور العاطرة انما يخفى جيفة رهيبة تثير فى النفس الشعور بالغشيان !!

ووقف برهة ينظر الى البيت ويدهش لجماله الخارجى الذى لم يكن قد فطن اليه من قبل . وفجأة طرأت على ذهنه صورة خيالية

.. صورة بيت فيرمونتى الطراز من الداخل .. وكان قد سمع بدوره أن البيوت الفيرمونتية تبدو لامعة متألفة من الارضية الباركيه الى السقف والجدران . وتذكر صورة لمشهد هذا البيت كان قد رآها فى احدى المجلات المصورة

وذهب بات فى تلك الليلة الى ساليانس . وكان يشعر أنه يتصرف بقوة غامضة تدفق الى هذا التصرف ، وهناك .. فى المكتبة العامة بالمدينة طلب من الموظفة المختصة أن تطلق على صور بعض البيوت الفيرمونتية .. وقالت الموظفة :

— لسوف نجد هذه الصور فى بعض المجلات المصورة . هلم .. يمكننى أن أقدم لك عددا منها

وظل يتصفح هذه المجلات مستغرقا حتى نبهته الموظفة الى أن موعد اغلاق المكتبة قد حان . وغادر المكان فى الطريق الى بيته وذهنه مشغول بالصور التى رآها .. لقد رأى غرفا قائمة على تصميم معين .. وكل تصميم له زخرفة مناسبة .. وكل قطعة أثاث لها موضع خاص .. بل ان ألوان الارضية والجدران والسقف يجب أن تتناسق وتتناسب مع الاثاث وطراز الزخارف . ولم يكن يعرف من قبل أن الغرف تصمم على هذا النحو .. وانه يجب أن يكون لكل غرفة شخصية مميزة

ولم يستطع بات أن ينام تلك الليلة . لقد ظل فى سريره مؤرقا يفكر فى تلك الصور الجميلة التى رآها ، ونهض فجأة وألقى نظرة على رصيده فى البنك .. ثم ابتسم فى اطمئنان .. ان رصيده يمكن أن يتحمل بسهولة اعداد بيته من الداخل على الطراز الفيرمونتى .. وكان ذهنه قد استقر على طراز معين بسيط المطبخ الكبير الذى يصلح مطبخا ومكانا لتناول الطعام ، وغرفة متوسطة للنوم .. ثم تحويل الغرفات الثلاث الاخرى الى قاعة كبيرة طولها عشرة أمتار وعرضها خمسة . لقد رأى هذا الطراز فى احدى الصور الملونة .. ورأى الاثاث والزخارف اللازمة لتنفيذ مثل هذا الطراز

وفجأة شعر بالخوف .. كيف سيفتح الباب المؤدى الى داخل البيت ؟ وكيف سيواجه هذه الغرفات التى تركت مغلقة سنوات

وسنوات ؟ ولكن .. اذا أراد أن يحقق أعذب أمنية في حياة مولى، فيجب أن يتحرر من الخوف ويواجه أى عدد من الاشباح يمكن أن نكمن له داخل البيت

ونهض بعزم قوى .. وأمسك بأجنة حديدية وفتح بها باب غرفة الجلوس .. وتراجع قليلا أمام رائحة الرطوبة والعفن .. ولكنه لم يلبث أن استجمع شجاعته ودخل .. ثم خرج حاملا المقعدين المتأرجحين ، وألقى بهما فى الارض الفضاء الواقعة وراء سياج المطبخ .. وظل يروح ويجىء وهو يحمل الى الخارج كل شئ .. المقاعد والاونى والحشايا والاسرة والزهور الذابلة والكتب .. والسجاجيد النخرة والملابس والادوية .. كل شئ يمكن أن تقع عليه نظراته ويده .. وكان يعمل كالمحموم .. يعمل بقوة خفية تدفعه كأنها السحر .. وارتفعت الكومة الكبيرة من الاثاث القديمة المتعطنة .. وآنزع الاوراق الملونة الممزقة التى كانت تكسو جدران البيت كله ..

وسكب بات البترول على هذه الكومة واشعل فيها النار .. وراح يتأمل هذه القطع القديمة وهى تتكسر وتبز محترقة .. وكان يشعر أنه يرى نيران احتفال بعيد من الاعياد القومية وكان يصيح بها قائلا :

- كم عذبتنى أعواما طويلة .. كم اخذت من قوتى وشبابى فى تنظيفك وترتيبك .. كم سمعت من عبارات التقريع واللام بسببك .. اذهبي طعمة للنار .. أنت والاشباح المحيطة بك ثم يصمت حتى يلتقط أنفاسه ويعود صائحا :

- كنت تظنين أيتها النفاية القذرة اننى لا أملك الشجاعة الكافية لاحتراقك والتخلص منك .. أليس كذلك ؟ رأيت الان أننى شجاع .. اننى قادر على التخلص منك ؟!

وتزداد النار اشتعالا .. وترتفع أصوات الازيز والتكسر للاثاثات المحترقة وكأنها عواء اشباح معذبة .. وفرقت الاوانى الزجاجية والخزفية .. وراح بات يتوالب كأنه محارب انتصر فى معركة موت أو حياة

وفى أصيل اليوم التالى ، مضى بات فى سيارته الفورد القديمة

الى ساليناس واشترى عددا من المجلات الخاصة بتصميمات البيوت من الداخل .. وكلما أمعن النظر فيها ، وجد أن التصميم الذى اختاره فى أول الامر يتكرر كثيرا فى هذه المجلات وكأنما يقول له « اننى أفضل التصميمات فعلا » وكان كل تصميم يبدو فى أنثاات وزخارف مختلفة ، ولكنها متناسقة دون أن يخرج عن الطابع الاساسى .. غرفة نوم متوسطة .. وقاعة جلوس كبرى .. ومطبخ واسع لتناول الطعام والجلوس بجوار المدفأة واسـتقبال بعض الزائرين المقربين

وازداد احساسه بالبهجة والحماس أنه كان يرى فى نفسه المقدرة على القيام بكل التغييرات اللازمة بنفسه ، وبدون استعانة بأحد .. كان يتخيل العمل على نزع الحواجز التى تفصل بين الغرفات الثلاث لتكون غرفة كبرى .. وهدم جوانب من النوافذ لتوسيع قواعدها ووضع مصاريع خشبية وزجاجية جديدة ، وتكبير حجم المدفأة ، وتلميع الارضية ولصق الورق على الجدران ، نعم ، كان بات يعرف أن فى مقدوره أن يفعل هذا كله . وشعر بيديه تتلهفان على العمل ، وقال لنفسه :

« غدا سأبدأ »

ثم فاجأته فكرة أخرى ، وعاد يقول لنفسه :

— انها تظن أن داخل البيت جميل مثل خارجه . وأنا لا أستطيع أن أجعلها تعرف أنى أقوم بتجميله .. لانها لو عرفت هذا لادركت أنى أسـترق السمع الى حديثها مع ماى مونرو . وكذلك لا أستطيع أن أجعل سكان الوادى يعرفون ما أقوم به من اصلاحات ، والا لبدت فى أعينهم نظرات التساؤل ولكن .. ليس من حقهم أن يتدخلوا فى شئونى ، وليس من واجبى أن أدور بينهم وأشرح لهم الاسباب التى جعلتنى أصلح بيتى من الداخل . وعلى كل حال يحسن أن أقوم بالعمل ليلا .. »

وضحك لنفسه فى ابتهاج . لقد شعر بالانفعال وهو يفكر فى تغيير داخل بيته سرا ثم يقاجئ سكان الوادى بعد ذلك . ان فى مقدوره ان يقوم بالعمل بمفرده ، دون أن يقطن أحد . وبعد أن يفرغ ، يقيم مادبة لسكان الوادى ثم يتظاهر بأن بيته كان دائما

على هذا النحو .. ولا شك أن أحدا منهم لا يذكر كيف كان البيت من الداخل بعد مرور كل هذه السنوات

وهكذا نظم حياته . فى النهار يعمل بالمزرعة ، وفى المساء ينطلق الى البيت مبتهجا . وكانت الصورة التى يريد البيت عليها من الداخل معلقة فى المطبخ ، وكان لا يكف عن النظر اليها وهو يعمل فى توسيع قواعد النوافذ ، وفى تركيب المصاريع الجديدة ، وفى لصق الورق الفاخر على الجدران وفى صقل أرضيات الغرف وتلميعها وفى طلاء الاعمدة والابواب والنوافذ بالطلاء اللامع الذى كان يبدو كأنه الميناء ، وكان اذا احتاج الى مواد للعمل ، انطلق بسيارته القديمة الى ساليانس ليلا وعاد حاملا كل احتياجاته ، وكان يعمل كل ليلة حتى منتصف الليل ، ثم يأوى الى فراشه مرهقا وسعيدا

وكان طبيعيا أن يفتقد سكان الوادى . واذا سألوه فى المتجر عن سبب عزله الفجائية ، أجاب فورا :

- اننى أدرس بالمراسلة .. وأستذكر دروسى ليلا

ويسأله أحد الحاضرين :

- وماذا تدرس يا بات ؟

- أوه .. نعم .. اننى أدرس الهندسة المعمارية

- يجب أن تتزوج يا بات .. لقد بلغت الثانية والثلاثين

ويحمر وجه بات ثم يقول :

- نعم .. نعم .. يجب أن أتزوج .. وأرجو أن يتم هذا قريبا

وكان بات وهو يعمل فى الغرفة الكبرى يتخيل مسرحية صغيرة على هذا النحو : النار تتأجج فى المدفأة الكبرى وترسل وهجها الاحمر فى جوانب الغرفة ، والاضواء الخفية تنساب من أماكن غير منظورة وتنعكس على الارضية اللامعة والاثاثات المتألقة . « وسأذهب الى مسكنها وأقول لها عرضا : « سمعت أنك تحبين البيوت الفيرمونية الطراز » ولكن لا .. لا أستطيع أن أقول لها هذا . وانما يجب أن أقول : « هل تحبين البيوت الفيرمونية الطراز ؟ حسنا .. ان بيتى من هذا النوع »

ويهبز بات رأسه وهو يشعر أن هذا الحوار غير مقنع .. ما هكذا ينبغي أن يدعو رجل الفتاة التي ينوى الزواج بها . يحسن أن يفكر في حوار أقوى وأشد تأثيرا .

وانتهى من اعداد الغرفة لاستقبال الاثاث والتركيبات الزخرفية .. وقرر أن يجعل المطبخ على حاله بعد أن يعيد طلاءه فقط .. أن المطبخ واسع جدا ، ومريح جدا .. ويحسن أن يتركه على هذه الصورة العادية حتى يكون وقع مفاجأة النظر الى القاعة الكبرى أشد وأقوى ، نعم .. لسوف يقف معها في المطبخ أمام الباب ، ثم يفتحه بطريقة بسيطة .. ثم يرقبها وهي واقفة تنظر الى الغرفة السابحة في الاضواء الخافتة ووهج نيران المدفأة .. وانعكاس الاضواء على الارضية والاثاث .. والسجادة الفاخرة المعلقة فوق رف المدفأة تمثل نمرا راقدا .. وانا القهوة الغضى الكبير على جانب من المدفأة .. يلمع ويغرى .. والدفع الممتع الذي كأنه ذراعا أم حانية تستقبل ابنها العائد بالحرارة والحب

ترى ماذا ستقول في تلك اللحظة ؟ اذا كان التأثير شديدا في نفسها ، فلن تقول شيئا . وانما قد تعبر عن انفعالها بالبكاء .. أو بالاقتراب من حالة البكاء . أو لعلها ستقف لحظة أو لحظتين ثم يقول بات « ألا تدخلين ؟ » وتفيق مولى من ذهولها وتنطلق في الحديث عن الغرفة بعبارات متقطعة من فرط الانفعال بينما يرد عليها بات ببساطة قائلا : « نعم .. نعم .. اننى أستريح دائما الى هذا الطراز من الغرف »

وفى اثناء العمل كان يقول لنفسه بصوت مسموع كأنما يتدرب على التمثيل فى مسرحية « نعم . اننى دائما أشعر أن هذه الغرفة جميلة ، وقد خطر لى فى ذاك اليوم أن أدعوك لتشربنى الشاي معنى »

وتنتهى المسرحية على هذا النحو : مولى جالسة بجوار المدفأة ، ويدها الجميلتان فى حجرها ، ونظرات عينيها زاخرة بالاحلام والامانى

وبعد ثلاثة أشهر تم اعداد كل شئ لاستقبال الاثاث والتركيبات الزخرفية . وذهب بات ذات ليلة الى سان فرانسيسكو

ومعه صورة ملونة لفقاعة الفيرمونتية بكل أثاثاتها وتركيباتها . .
وفى مكتب احدى شركات صنع الاثاث وضع الصورة أمام المدير
وقال له :

- أريد أن تفرش غرفتي على هذا النحو
ولما تأمل المدير الصورة ابتسم وأوماً برأسه . وقال له باسم :
- كم تتكلف ؟
وصمت المدير برهة كأنما يقوم بعملية حسابية سريعة ثم قال :
- الاثاث والتركيبات الزخرفية والستائر وكل شيء تتكلف
ثلاثة الاف دولار

وصمت بات قليلا كأنما يحاول أن يتذكر ما لديه من رصيد مالى،
ولما اطمأن الى أن الرصيد يتجاوز سبعة آلاف دولار ، وافق ، ودفع
عقد الشراء بعد أن حدد مواعيد الاستلام بمدة لا تتجاوز شهرا
وظل يوالى تلميع الارضية فى انتظار وصول الاخطار بالاستلام .
ولما وصلت الاثاثات الى ميناء مونتريرى ، راح ينقلها فى سيارته
ليلا على أربع مراحل . وتم كل شيء دون أن يفطن احد الى ما يقوم
به .

ووضع بات الأشياء الجديدة كلها فى المخزن القريب من البيت،
ثم راح يحملها قطعة بعد أخرى ويضعها حسب الترتيب الواضح
فى الصورة . ولما فرغ من هذه العملية فى اليوم التالى ، وقف
يتأمل القاعة فى ذهول . . النار المتأججة فى المدفأة . . والاضواء
الخفية المنعكسة على الارضية اللامعة والاثاثات . . والنمر المرسوم
على سجادة معلقة على الجدار فوق رف المدفأة . . واناى القهوة الفضى
الكبير الموضوع على جانب المدفأة . . ومضى الى المطبخ وأغلق الباب
. . ثم عاد وفتحته وراح يتأمل المنظر من جديد . . وأخذ يردد ما
سيقوله « اننى دائما أحب هذا الطراز من الغرفات » أو « خطر
ببالى ذاك اليوم أن أدعوك لتشربنى معى الشاي فى هذه الغرفة
الفيرمونتية الطراز »

وفجأة طرأت بذهنه فكرة جعلت وجهه يشحب . لقد تذكر أنه
ليس من اللائق أن تحضر فتاة بمفردها لزيارة شاب أعزب ! وخيل
ليه ان كل أحلامه تنهار ، وأن المسرحية فشلت قبل أن تبدأ

وجلس فى مقعد بجوار مدفأة المطبخ يفكر فى حل لهذه المشكلة، هل يدعوها مع عدد من رجال الوادى وزوجاتهم ! ان التأثير لن يكون شديدا كما يريد .. بل لعله سيشغل باستقبال الضيوف فلا يعرف وقع المفاجأة عليها

وأفاق على أصوات تتحدث وتقترب من باب المطبخ .. وخيل اليه أنه يحلم .. انه صوت مولى تتحدث مع ماى مونرو .. وكانت تقول لها :

— كيف يكون الحال لو أن المستر هامبرت لم يزض عن زيارتنا المفاجئة له ؟

وقالت ماى :

— اننا سنخبره بأننا لم نأت للزيارة وانما انعطفنا على بيته ونحن نمر بالقرب منه

وتقول مولى :

— ولكنه قد يشعر بالحرج حين يرانا نفاجئه على هذا النحو .. قد يكون بيته من الداخل غير مرتب .. لا سيما وهو يعيش فيه بمفرده !

ووثب بات واقفا وقلبه يخفق بعنف ، وشعر فجأة أن القدر يقف بجانبه لأول مرة فى حياته .. انه ما كان ليطمع فى مفاجأة أفضل من هذه . ان مولى تظن أنها ستفاجئه وهى لا تدرى أى نوع من المفاجأة تنتظرها ..

وفتح الباب لاستقبالهما فى شئ من الخجل .. وقالت ماى وهى تدخل أنها انعطفت الى البيت أثناء مرورها مع صديقتها مولى أمامه .. ان البيت من الخارج جميل الى حد الروعة .. واعترفت مولى أن الفضول دفعها لرؤيته من الداخل اذا لم يكن فى هذا أى تطفل على بات

ورحب بهما بات فى حماس .. وبعد أن جلسوا جميعا حول المدفأة فى المطبخ ، قال بات ببساطة :

— تفضلا بالدخول ! .. ان بيتى من الداخل على الطراز الفيرومونتى .. أرجو أن يعجبكما !

ولم بجانب عينه أمارات الدهشة وهى ترسم على وجه مولى

عند سماعها لكلماته ٠٠ وقال لنفسه « احتفظي يا صغيرتي
بدهشتك الكبرى عند رؤيتك لبيتى من الداخل »

وتقدم ببساطة وفتح الباب على مصراعيه ، وتراجع قليلا ليدخلا
٠٠ ونظر الى وجه مولى وهو واقف الى جانبيها ، الى الورا قليلا ،
وراح يسجل فى أعماق نفسه مشاعرها التى ارتسمت على وجهها
فى تلك اللحظات ٠٠ وكادت الدموع تطفر الى عينيــــــــــــه هو حين
رأى أن ما ارتسم على وجهها من دهشة وذهول فاق كل ما كان
يتخيله

وسمع مولى تتمتم كأنما تحدث نفسها :

- ان هذا يفوق الخيال ٠٠

وقال بات ببساطة مصطنعة :

- اننى أحب دائما الطراز الفيرومونتى

وهتفت ماى فى دهشة :

- ولكن بيتك يا مستر هامبرت أجمل مما نراه فى السينما !

ولما جلسوا جميعا بجوار المدفأة ٠٠ راح بات يصب القهوة من
الاناء الفضى الكبير فى أقداح من الخزف الفاخر ٠٠ وكان فى خلال
هذا يرى نظرات مولى المليئة بالاحلام والامانى

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الابتسامة

قصر في الهواء

عندما هاجر ريتشارد هوايتسيد الى غرب أمريكا في عام ١٨٥٠ ، راح يبحث احتمالات البحث عن الذهب ، ولكنه لم يلبث أن نفذ يديه من هذا البحث قائلا : « أن الارض في موضوع الذهب لا تنتج الا محصولا واحدا ٠٠ أما الارض الزراعية فانها متنوعة المحاصيل »

وفي مرة أخرى قال مبررا حكمته :

- ان محصول الذهب اذا قسم على عدد كبير من الناس ، فلن يكون نصيب الفرد الا شيء بسيط ٠٠ أما الارض الزراعية فانها لا تكف عن الانتاج جيلا بعد جيل ٠٠ بلا انقطاع وانطلق ريتشارد بمركبته الكبيرة وبكل ما يملك من مال ومتاع الى التلال والحقول في ولاية كاليفورنيا . وكان رأيه قد استقر على البحث عن مكان مستقر لاولاده الذين لم يولدوا بعد ، ولاولاد أولاده ! ولم يكن في كاليفورنيا يومذاك أحد مثل ريتشارد ، يهتم بمستقبل أولاده وأحفاده قبل أن يولدوا !

وفي شفق الغروب من مساء يوم ضاف جميل ، وصل بمركبته الكبيرة الى قمة تل يشرف على الوادي الاخضر . ووقف جياده ، وراح يرنو الى مزارع الوادي الخصيب وقد أدرك أنه عثر أخيرا على ضالته . لقد شاهد في أثناء تجواله في المنطقة ، أماكن كثيرة جميلة ، ولكن لم يكن بينها مكان أثار في نفسه ذلك الاحساس العميق بالعجب والاعجاب . وتذكر في وقفته أهالي أثينا ولاسيديانيون عندما كان الكثيرون منهم ، في غابر الزمان ، يخرجون بحثا عن أراض جديدة وصفها لهم الرواة والشعراء المجهولون . وتذكر ما قرأه عن قبائل الازتيك وهم يخوضون المستنقعات ويجوبون البلاد بحثا عن مناطق جديدة ، مسترشدين بالصقور . وقال ريتشارد لنفسه :

« لو تلقيت الان اشارة أو علامة من السماء ، لاستراحت نفسى وأيقنت أن هذه الارض ستعيش فيها سلالتى جيلا بعد جيل »

ونظر الى السماء .. ووجدها صافية خالية من الطيور والسحاب . وفجأة هبت نسيمات كالتي تهب عادة فوق التلال عند الغروب ، وتحركت أوراق شجر السنديان .. وعلى جانب التل التقطت دوامة من الهواء بعض أوراق الشجر وألقت بها عند قدمى ريتشارد . وضحك الرجل ابتهاجا وقال :

— هذه هى العلامة .. وكم من مدينة أنشئت من أجل علامات بسيطة كهذه أرسلتها الآلهة

وبعد قليل هبط من المركبة ووضع الحبال فى أرجل الجياد التى راحت تتحرك ببطء لتقضم العشب النضير حولها . وتناول عشاءه من اللحم القديد والخبز ، ثم بسط بعض البطاطين على العشب ورقد فوقها يرنو الى الوادى الاخضر فى شفق المساء . وكان الضوء كافيا لان يمد البصر الى بقعة من الارض خالية .. بجوار تل صغير مكسو بالزهور .. لسوف يقيم فى هذه البقعة بيته الكبير .. الشبيه بالقصر .. وستكون حوله حديقة واسعة للزهور والفاكهة . وبالقرب منه سيقم خزاناً مرتفعاً لتزويد القصر بالمياه ، وسوف يرفع المياه الى الخزان بالطمبات .. وسيروى الحديقة من الجدول المائى الذى يراه بجوار التل المكسو بالزهور .. وبدأت ظلال المساء تتجمع ، وازداد الوادى جمالا فى نظره .. وتألفت الاضواء الخافتة فى بيوت المزارع المتناثرة .. وخيل الى ريتشارد أنه ينظر الى عالم جميل من السحر والخيال

وعاد الى خياله عن القصر الصغير الذى سيبنيه .. لسوف تتألق الاضواء من نوافذه فى مثل هذه الساعة .. وسوف يفتح بابه الكبير لينطلق منه أولاده ستة على الاقل وثمانية على الاكثر .. انهم يدخلون الشرفة الواسعة المحيطة بالقصر كله ، ويحملقون فى ظلال المساء ، ويرفعون الانظار الى المكان الذى يرقد فيه الان . وبعد لحظات يعودون الى داخل القصر .. ويغلق الباب الكبير . ويتلاشى المنظر كله من خيال ريتشارد ..

وتنهذ بارتياح وهو راقد على ظهره يبتسم للنجوم فى السماء

وراح ريتشارد لمدة أسبوع يعمل جاهدا في البحث عن المكان الملائم لإقامة قصره الصغير وأنشاء المزرعة . واستطاع أن يشتري المنطقة التي رآها وهو راقد فوق التل ليلة وصوله . . المنطقة التي يرتفع في جانب منها التل المكسو بالزهور . . ويجرى فيها جدول عذب المياه . . وبعد أن سجل عقد الشراء في مونتريري ، زار شركة للمباني

واستغرق ريتشارد ستة أشهر في بناء قصره الصغير وتزويده بالاثاث والسجاجيد وأباب المياه المتصلة بالخزان المرتفع . وكان ريتشارد قد استأجر عددا كبيرا من العمال لاستكمال القصر في أقصر وقت ممكن ، دون أن يحاول زراعة شبر واحد من المزرعة

وأقبل عليه أحد جيرانه الذين دهشوا لما يفعل ، وقال له :

- هل ستدعو أسرتك للإقامة هنا يا مستر هوايتسيد ؟
فرد هوايتسيد بهدوء :

- اننى رجل وحيد فى الحياة . . مات أبواى منذ عشر سنوات . . ولم أتزوج بعد

- اذن لماذا بحق السماء تبني هذا البيت الكبير الشبيه بالقصر ؟
وارتسم الجد على وجه ريتشارد وهو يقول :

- اننى أنوى الاستقرار هنا . . لقد جئت لأبقى . . وسوف يعيش أولادى وأحفادى وأحفادهم هنا . . فى هذا القصر . . لسوف يكون هنا عدد كبير من أفراد أسرة هوايتسيد وستكون أسرة عريقة .

وكاد يقول « كالأسرة الملكية » ولكنه كتم هذا الامر فى نفسه وأردف قائلا :

- أسرة تعيش هنا . . وتتكاثر . . ويموت منها من يموت . . اننى أقدر لهذا القصر عمرا لا يقل عن خمسمائة سنة
وقال الجار :

- اننى أفهم ما تعنى . . وهذا من حقل طبعاً . . ولكن الامور هنا لا تجرى على هذا النحو ، ان المزارع منا يبني بيتا صغيرا أقرب الى الكوخ منه الى البيت . . فاذا صلحت أحواله وأنتجت الارض

محصولا يبشر بالخير ، فانه يزيد غرفة أو غرفتين على بيته الصغير . وفي رأيي أن الانسان لا ينبغي له أن ينفق ثروة كبيرة فى بناء منزل قبل أن يتأكد تماما أنه لن يرحل عنه

فهتف ريتشارد قائلا :

— ومن قال لك اننى سأرحل عنه ؟ اننى أقيم هذا القصر حتى يمنعنى تماما من الرحيل . اننى أقيم هذا البناء القوى المتين حتى لا أستطيع أنا أو أبنائى من بعدى أن يتركوه ويرحلوا . وزيادة فى الاحتياط ، فسوف أدفن هنا عندما أموت . والناس عادة لا يتركون موتاهم ويرحلون

ولانت ملامح وجهه وأردف قائلا :

— هل فهمتنى الان . . اننى أقيم أساسا لاسرة عريقة الحسب والنسب لتبقى الى ما لا نهاية ، وانما لعدة أجيال آتية على الاقل . وانى لاشعر منذ الآن بالبهجة وأنا أعلم أن أبنائى وأحفادى سوف يرتعون فيه . .

وكانت عيناه تتألقان وهو يتحدث . . وكانت دققة الاعمال الختامية فى القصر تتجاوب مع حديثه . ولكن الجار أيقن فى قرارة نفسه أنه يتحدث مع رجل مجنون ! الا أنه شعر بالوفاء الذى يحسه الانسان عادة نحو رجل مجنون . ولولا أنه أمريكى . لرفع قبعته تحية له . ذلك أنه كان لذلك الجار ابنان يعملان فى قطع الاشجار فى غابة تبعد ثلاثمائة ميل ، وابنة متزوجة من رجل يعيش فى نيفادا . أى أن أسرته تشتتت قبل أن يجتمع شملها . أقام ريتشارد قصره من الخشب الاحمر المبخر المنيع الى التحلل أو التعطن أو التسوس ، وكان الطراز الذى اختاره ، هو الطراز السائد فى جزيرة نيوانجلاند أى طراز البيوت التى تقيم فيها الاسر المحافظة ذات التقاليد الخاصة . ولكنه أضاف الى هذا الطراز شرفة واسعة تحيط بالقصر كله ، كما صنع السقف بالأجر اللامع « القيشانى » الذى كان يتألق فى المجو الصافى الخالى من السحب ، وكان هذا السقف هو مثار العجب والاعجاب فى الوادى كله ، حتى أصبح رمزا على أناقة القصر وجماله ، وجعل ريتشارد هوايتسيد المواطن الاول فى الوادى . وأكثر من هذا أصبح السقف من المعالم

التي يقخر بها السكان ويشيرون اليها للزوار . ولو كان لريتشارد
مطامع سياسية ، لاستطاع أن يغدو من أبرز رجال السياسة في
المنطقة بسبب هذا السقف !

وتم اعداد القصر في النهاية . وشرع ريتشارد في اعداد الحديقة
والمزرعة للانتاج الزراعى . فاستأجر عددا من العمال الزراعيين
وأخذ معهم يمهّد الارض ويقسم الحديقة الى أحواض وبساتين ، كما
اشترى قطيعا من الاغنام وتركها ترعى في سفح التل الاخضر
الواقع وراء القصر . وبعد أن تم هذا كله ، رأى أن الوقت حان
للزواج . وقد حان الوقت عندما جاءت رسالة من قريب له يخبره
فيها أنه وصل الى سان فرانسيسكو مع زوجته وابنته ، وأنه في
شوق الى رؤيته . وأدرك ريتشارد أن الابنة هي زوجة المستقبل ،
ومن ثم كان يعرف ، قبل ذهابه الى سان فرانسيسكو ، أنه سيتزوج
هذه الابنة أيا كانت الظروف . اذ يكفي أنها تمت اليه بسبب
القربى ، وأنه لن يكون هناك اختلاط فى الحسب والنسب !!

ولم يستغرق مشروع الزواج وقتا طويلا . . . وقد رحبت الفتاة
أليشيا بهذا الزواج حتى تنجو من سيطرة والديها واستبدادهما ،
وحتى تبني « مملكة » خاصة بها ، لقد أدركت حين رأت القصر كأنه
أقيم من أجلها . انها لم تمكث فيه ، كزائرة ، غير يوم واحد حتى
كانت تفرش أرفف المطبخ بالورق الملون ، وبنفس الطريقة التي
كانت أم ريتشارد تتبعها فى تزيين مطبخها . وبعد زواجها فكان
الغسيل يوم الاثنين ، والمكوى يوم الثلاثاء وهكذا . . . والسجاجيد
ترفع وتنفض مرتين فى السنة ، والمرببات وعصير الطماطم والمخللات
تحفظ وتخزن فى قبو القصر . وازدهرت المزرعة ، وتكاثرت
الابقار والاعنام ، أينعت ثمار الفاكهة ، وتفتحت الازهار ، وأعلنت
أليشيا لزوجها أنها أصبحت حاملا !!

وكان ريتشارد يعرف أن هذا كله سيحدث . . ان أساس
الاسرة العريقة قد توطد . وأن المداخن لترسل سحائب الدخان فى
الجو معلنة أن أعمال الطهو فى القصر قائمة ومستمرة . . للزائرين
. . وللعمال . . ولرب القصر . أما المتبغ الكبير « البايب » المصنوع
من خشب الميرشوم ، والذي قدمه اليه حموه هدية زواجه ، فقد بدأ

لونه يتحول الى اللون الاصفر الصافى . .

وعند اقتراب موعد الوضع ، أخذ ريتشارد يعامل زوجته كأنها مريضة تحتاج الى المزيد من الرعاية ، فاذا جلس فى المساء بجوار المدفأة ، لف الثوب عليها بعناية ، وغطى قدميها بالفراء ، وكان يشعر بأشد القلق خشية أن يحدث شيء للجنين . وكان يتبادل معها الحديث طويلا عن الصور الجميلة التى يجب أن تتطلع اليها دائما حتى يأتى المولود جميلا . واستقر رأى على أن تديم النظر الى تمثال صغير للملك داود . ومع مرور الايام ، أصبحت موقنة بأن مولودها سيكون شبيها بالملك داود

وكان ريتشارد يجلس بجوارها ويمسح على كفها مهدئا لاعصابها ، وكانت هى تحب أن يعرب لها دائما عن حبه القوي بهذه الوسيلة المهدئة ، ثم يحدثها بهدوء قائلا :

— لقد زالت اللعنة يا أليشيا . . انك تعرفين أن قومي وقومك عاشوا متباعدين ردحا من الزمان . . ولكن دماءنا عادت لمتزوج باعتبارها دماء نيوانجلاندية نقية . وقد أخبرنى أبى ذات مرة أن بيت الاسرة الكبير فى نيوانجلاند شهد مولد ثلاثة وسبعين طفلا . وقد ظلت أسرتنا تتكاثر حتى عهد جدى . وكان أبى ابنه الوحيد ، وأنا ابن أبى الوحيد ، وهذه هى اللعنة التى أحزنت قلب أبى كثيرا . . وقد مات وهو فى الستين من عمره فقط . ولما بلغت الخامسة والعشرين احترق بيت الاسرة وتفرق الجميع فى مختلف الولايات . ولا أدري حتى الآن سبب اندلاع النار فى البيت الكبير الذى عاش مائة وثلاثين عاما ، وشهد مولد ثلاثة وسبعين طفلا

ووضع يدها على حافة مقعده برفق وكأنها يد انسان ضعيف . وندت عن المدفأة جمرة ، فأعادها الى مكانها . وتناول يد أليشيا مرة أخرى ، وابتمت هى برفق لتمثال الملك داود الموضوع على نضد بجوار السرير . واستطرد يقول :

— كان هناك تقليد متبع فى العصور القديمة . .

وأدركت أليشيا أن ريتشارد سيتناول فى حديثه موضوعا من أحب الموضوعات اليه . كانت عيناه متألفتين ووجهه يشرق عندما

يتحدث عن هيروزس أو اكسنوفان أو تيرسيدوز أو عن حروب
الفرس أو معابد المصريين أو تقاليد الاغريق
وأردف يقول :

- نعم .. عندما تتوالى الهزائم والأوان سوء الحظ على أهل
احدى المدن فانهم يعتقدون أنهم واقعون تحت لعنة أحد الالهة .
ومن ثم فانهم يجمعون كل ممتلكاتهم المنقولة الى السفن ويرحلون
الى مناطق جديدة . انهم يتركون مدينتهم القديمة خالية مهجورة
ومباحة لكل من يريد
وقالت له أليشيا :

- هل تسمح وتناولنى ذلك التمثال ؟ اننى أحب أحيانا أن
أمسكه بيدي

ووثب ريتشارد ووضع التمثال الصغير فى حجرها . وهو
يستطرد قائلا :

- اسمعى يا أليشيا .. لم يكن جدى قد أنجب غير أبى فقط ،
ولم ينجب أبى ابنا غيرى ثم احترق البيت . ولهذا وضعت كل
ما أمتلكه فى سفينة ورحلت عن نيوانجلاند بحثا عن منتجع جديد .
لقد احترق بيتنا بعد أن عاش مائة وثلاثين عاما . ولم يكن فى
مقدورى أن أقيم بيتا آخر فى نفس المنطقة والا شعرت دائما
بالمأساة ، ولما رأيت هذا الوادى . أدركت أنه موطنى الجديد
والاساس الذى أنشئ عليه أسرة كبيرة تعيش جيلا بعد جيل ..
وانك الان تحملين أول هذه الاجيال ، وانى لسعيد جدا يا أليشيا .
ومدت يدها وضغطت على يده شاكرا لانه جعلها تحس بقدرتها
على اسعاده . عاد هو يقول مستطردا :

- بل لقد رأيت فالأ حسنا وأنا واقف أفكر فى أن أجعل من هذا
الوادى موطننا جديدا لاسرتى . رأيت هذا الفال الحسن
فى الوقت المناسب .. هل أحدثك به يا أليشيا ؟
وتشاءت أليشيا وقالت :

- حدثنى به غدا مساء ، ويحسن أن آوى الى الفراش الان
ونهض يساعدها فى رفع الاغطية عن ركبتها ، واعتمدت على

ذراعه بقوة ، ومضت تصعد الدرجات الى غرفات النوم وهو يقول لها :

- ان فى هذا البيت شىء خفى .. شىء عجيب رائع ، وكأنه يحمل الطابع الروحى لجيل جديد
وقالت أليشيا :

- لسوف يأتى ابننا شبيها بدادو !

وبعد أن يطمئن ريتشارد عليها فى فراشها يعود الى غرفة الجلوس وكان فى مقدوره أن يسمع أحفاده وهم يدبون فى أنحاء البيت ، انهم يجرون هنا وهناك بأقدامهم الصغيرة ، ويحركون الجمرات فى المدفأة ، وانه ليسمع أصواتهم العذبة وهم ينادون بعضهم بعضا فى الشرفة . وقبل أن يعود الى البيت ، أعاد الكتب التاريخية الثلاثة الى مكانها فى أعلى المكتبة

وكانت عملية الوضع عسيرة جدا . ولما تمت ، تهالكت أليشا فى الفراش مرهقة ، وأحضر ريتشارد الطفل ووضعها بجانبها . وقالت هى :

- نعم .. انه يشبه الملك داود تماما . كنت أعرف هذا . ويحسن أن نسميه دافيد

وأقبل الطبيب من مونتريرى وجلس بجوار ريتشارد فى غرفة الجلوس ، وكان يبدو عليه القلق الشديد . وفتح ريتشارد زجاجة براندى وصب كأسين وهو يقول :

- فى صحة ابننا يا دكتور .. ابننا الاول ..
وتشمم الدكتور الشراب وقال :

- انه شراب جيد .. ماذا تعنى بقولك ابننا الاول

فنظر اليه ريتشارد مدهوشا وقال :

- طبعا سيكون لنا أبناء اخرون .. ستة على الاقل وثمانية على الاكثر

وقطب الطبيب جبينه وقال :

- أخشى أن تكون مبالغيا بعض الشيء فى أحلامك يا مستر هوايتسيد

- ماذا تعنى ؟

- لقد كدت أن تفقد زوجتك فى أثناء عملية الوضع
وغص ريتشارد بريقه وقال :
- لم أكن أعرف - نعم • لم أكن أعرف •• كنت أظن فقط أن
الابن الاول يكون وضعه عسيرا ••
وقال الطبيب :

- أعطنى كأسا أخرى •• انك لن تنجب طفلا اخر
فهتف ريتشارد فى استنكار :

- هذا غير معقول •• لسوف يكون لى أبناء وأبناء ••
- قد يكون لك هذا •• ولكن من زوجة أخرى غير زوجتك الحالية
انك ستفقدھا تماما لو حاولت معها أن تنجبا ابنا اخر
وتسمر ريتشارد فى مقعده • وخيل اليه أن أصوات الاطفال
الكثيرين فى البيت ، الاصوات التى كان يسمعها طيلة الشهر السابق
قد انقطعت فجأة وساد البيت سكون عميق
وضحك الطبيب بمزارة وقال :

- لماذا لا تفقد وعيك بالخمى اذا رأيت أن الوقت يستلزم هذا !

- لا لا •• اننى لا أشعر بالرغبة فى السكر

- حسنا •• اعطنى كأسا ثالثة قبل أن أنصرف •

ولم يخبر ريتشارد زوجته بأنها لن تستطيع أن تنجب مرة
أخرى • لقد أراد أن يتيح لها فرصة استرداد قواھا تماما قبل أن
يبلغھا هذا النبأ المحزن • وبعد ستة أشهر ، ذهب اليھا مترددا
ليخبرھا • وكانت تحمل ابنھا فى حجرھا وتداعبه وتمتص أصابعه •
وكان الطفل يحملق فيها ويبتسم ويبسط أصابعه لها لكى تمتصھا •
وكانت الشمس تسكب ضوءھا من النافذة العريضة •• والحقول
المتراصة تبدو ممتدة الى سفوح التلال

ورفعت الام رأسھا وقالت لريتشارد :

- لم يحن الوقت بعد لكى نعدم الطفل يا ريتشارد :

- نعم • لقد حان • لسوف أأخذ الترتيبات اللازمة فى
مؤتريرى

وترددت برهة قبل أن تقول :

- هل فات الوقت الذى يمكن فيه أن نغير اسمه !

- لا .. لم يفت .. لماذا تريد تغيير اسمه .. وما هو الاسم الذى
تريدينه ؟
- أريد أن أسميه جون .. انه من أسماء العهد الجديد فى الكتاب
المقدس

ثم توقفت برهة ونظرت اليه متسائلة قبل أن تردف قائلة :
- وعدا هذا فإنه اسم أبى ، وسوف يبتهج أبى كثيرا لهذا ..
ولم يحفل ريتشارد بهذا كثيرا ، ووافقها فوراً على رأيها ، ثم
اعترف لها بما قاله الطبيب .. وفوجئ بها بتبسم فى وداعة وصفاء ..
ونظر إليها وهو فى حيرة .. وقالت هى :
- ان الاطباء كثيرا ما يخطئون .. لسوف يكون لنا أبناء كثيرون
.. صبرا

وغادر ريتشارد الغرفة وجلس على احدى درجات السلم .. وشعر
مرة أخرى بالبيت يموج بالاطفال .. ديبب أقدامهم الصغيرة ،
وأصواتهم العذبة وهم يتنادون فى الشرفة

وكانت أسرة هوايتسيد حتى ذلك الوقت قد صارت الاسرة الاولى
فى الوادى الاخضر .. كانت أكثر الاسر ثقافة ، وكانت مزرعتها
أجمل المزارع .. وكانت أكثر نسيبا ، ثراء .. وأهم من هذا كله ،
كانت تعيش فى دعة ورفاهية فى ذلك البيت الشبيه بالقصر ..
وبسبب هذا القصر ، أصبح ريتشارد كبير سكان الوادى .. الرجل
الذى يفيض المنازعات ، ويحل المشكلات ، ويقدم النصيحة والعون ،
وتطور هذا كله حتى أصبح يشعر أن شئون الوادى هى شئونه ،
وأن السبكان فخورون به

ومرت خمسة أعوام .. وشعرت أليشا أنها حملت للمرة الثانية ..
وقال لها ريتشارد حين أخبرته :

- لسوف أستدعى الطبيب .. انه سيخبرنا ما اذا كان هذا الحمل
فى صلاحتك أم لا
ولكنها منعتة قائلة :

- لا ياريتشارد .. ان الاطباء لا يعرفون .. والام منا تعرف عن
نفسها أكثر مما يعرفه الطبيب

وأطاعها ريتشارد ، لانه كان يخشى أن يعارض الطبيب فى اتمام الحمل . وقال مبررا هذا التصرف لنفسه :

- نعم . . ان الطبيعة جعلت المرأة أكثر دراية بنفسها حتى بتكاثر النسل

وسار كل شىء على خير حال . وبعد ستة أشهر ، مرضت الزوجة مرضا شديدا . وكان الطبيب فى حالة غضب شديد عندما قرر أن يقوم باجهاضها خوفا على حياتها . وجلس ريتشارد فى غرفة الانتظار بالمستشفى وهو يتشبث بمقعده كلما سمع صراخ زوجته . ولما خرج الطبيب يمسح العرق عن جبينه ، قال له :

- اطمئن . . ان زوجتك لم تمت وان كنت لا أدرى كيف احتملت آلاما لا يقوى على احتمالها عشرات الرجال ، يالهؤلاء النساء الضعيفات ان لهن حيوية الوحوش

وفجأة قرر أن يعاقب ريتشارد لانه خالف تعليماته فأردف قائلا :

- أما الطفل ، فقد مزقته اربا لكى أخرجه وأنقذ زوجتك من الموت . .

ثم انصرف وهو يشعر فى أعماق نفسه بالحزن الشديد من أجل ريتشارد



وعاشت أليشا مريضة مقعدة . ولم يكن جون الصغير يذكر متى رأى أمه آخر مرة وهى سليمة قوية الجسم . لقد شب وهو يراها على مقعد متحرك . . ضئيلة الجسم ، شاحبة الوجه ، يحملها أبوه من الطابق الأعلى الى الطابق الأول ، وبالعكس ، ولم تكن تكثر من الكلام . وانما كانت تواجه الحياة بابتسامة رضا واستسلام . ومع ذلك كانت تدير البيت على خير وجه بمساعدة فتيات من الريف كن يأتين للتدرب على الشئون المنزلية قبل الزواج ، وكانت أليشا من فراشها أو من مقعدها المتحرك تشرف على كل شىء

وكان ريتشارد يحملها كل مساء الى فراشها ، ثم يجلس بجوار السرير يمسح على كفها حتى تستغرق فى النوم ، وكانت فى كل ليلة تسأله قبل أن تنام قائلة :

– هل أنت راض عن حياتك يا ريتشارد ؟
فيؤكد لها أنه راض تماماً ٠٠ ثم يروح يحدثها عن شئون المزرعة
وعن سكان الوادي ٠ وكانت الابتسامة تنتشر على وجهها وهي تنصت
الى حديثه حتى تنسدل أجبانها وتستغرق فى النوم

ولما بلغ جون العاشرة ، أقام ريتشارد له مأدبة دعا اليها أطفال
الوادي ٠ وجاء الاطفال يجوسون خلال القصر وهم مبهورون بروعته
وما فيه من ترف لم يروا مثله فى حياتهم ٠ وكانت أليشا جالسة فى
الشفرة تقول لهم :

– العبا وضجوا يا أولاد ٠٠

ولكن الاولاد كانوا فى رهبة من روعة القصر ، وكانهم فى كنيسة
وأخيرا انطلقوا الى المخزن الكبير حيث تعالى صياحهم وارتفع
ضحيجهم

وفى تلك الليلة سألت أليشا زوجها كالمعتاد :

– هل أنت راض ياريتشارد عن حياتك ؟

وأجاب ريتشارد قائلاً ووجهه متألق بانفعاله فى أثناء الحفلة :
– كل الرضا يا أليشا

– اذن انتظر قليلاً ٠ لسوف تتحقق آمالك عن الابناء يا ريتشارد ،
وسوف يصبح كل شىء كما ينبغي
ولما نظر اليها متسائلاً ، ابتسمت وقالت :

– ان جون فى العاشرة ٠ وفى خلال عشر سنوات أخرى سيتزوج
ويملاً البيت أطفالاً ٠ ان الاسرة بخير ياريتشارد ٠٠ وسوف تتحقق
أحلامك كلها

وأوماً ريتشارد برأسه وقال :

– نعم ٠٠ نعم ٠٠ وسأبدأ منذ الغد فى قراءة هيرودت له



وكان جون يتذكر دائماً كيف اهتم والده بأن يقرأ له المجلدات
التاريخية الثلاثة : هيرودت ، وتيوسيديدز ، واكسنوفون ٠ وكان
المتبع المصنوع من خشب الميرشوم النادر قد تحول الى الاحمرار
الصافى ٠ وكان أبوه يقول له :

– ان التاريخ كله فى هذه الكتب الثلاثة ٠ ان كل شىء استطاع

أن يسجله الانسان فى غابر الزمان موجود هنا . . فى هذه الكتب .
ان فيها الحب والحق . . والغدر الاحمق والشجاعة ، والنبل وقصر
النظر وأحزان الشعوب وأمجاد الامم ، نعم يا جون . . ان التاريخ
يعيد نفسه دائما ، ولا يمكن أن يقع شئ الا ان أو فى المستقبل لم يقع
مثله فى الماضى

ويتذكر جون كيف كان أبوه ينظر الى البيت باعتباره رمز
الاستقرار والبقاء والامان

وكان جون فى اخر عام بمرحلته الجامعية بهارفارد عندما بلغه
نبا وفاة أبيه بالتهاب رئوى ، وكتبت أمه اليه تطلب منه أن يستكمل
دراسته قبل أن يعود . وقد قالت فى رسالتها : « انك لن تستطيع أن
تفعل شيئا الان . . ان وصية أبيك الاخيرة أن تستكمل دراستك
الجامعية »

ولما عاد الى بيته أخيرا ، وجد أمه قد ازدادت مرضا وضعفا وبدت
أكبر من عمرها كثيرا ، وأصبحت لا تفارق السرير . وجلس بجوارها
ينصت اليها وهى تحدثه عن أيام أبيه الاخيرة :

— لقد أراد أن يخبرك بشئ واحد مهم . هو أن تستمر فى تحقيق
أحلامه . . أن تجعله يعيش فى أولادك وأحفادك جيلا بعد جيل ، ثم
ازدادت عليه الحمى حتى صار يهذى

ونظر جون الى المزارع من النافذة بينما استطردت أمه تقول :
— لقد ظل والدك فى حالة هذيان لمدة يومين . ولم يكن خلالهما
يكف الحديث عن الاطفال . . لا شئ غير الاطفال . . كان يسمعهم
يجرون فى أنحاء البيت ويمثلونه بالحياة . ومات وهو سعيد . . مات
وهو يقول بعد أن زالت عنه غشاوة الهذيان « اننى أرى المستقبل . .
لسوف يكون هناك أبناء كثيرون . . اننى راض عن حياتى
يا أليشا »

وأدفت أمه قائلة فى حزم :

— تزوج يا جون . أريد أن أراك زوجا وأبا . . أريد أن تتزوج
فتاة قوية تنجب لك عددا كبيرا من الابناء
وتراخت فى فراشها وقد امتلأت عيناها بالدموع

ولم يتزوج جون لمدة ست سنوات بعد حديث أمه معه • وازدادت
الام جفافا حتى أصبحت جلدا على عظم • ولكنها ظلت متشبثة
بالحياة ، وعيناها تتبعان جون في عتاب • وكان يشعر بالخجل كلما
راها تنظر اليه على هذا النحو • وأخيرا جاء أحد زملائه في الجامعة
الى الغرب ومعه أخته • وأمضيا شهرا في ضيافة جون هوaitسيد
بالوادي الاخضر • وفي نهاية الشهر تقدم جون الى ويللا - أخت
زميله - طالبا يدها للزواج • ووافقت ولما أخبر أمه ، طلبت أن
تنفرد مع الفتاة بعض الوقت • وكان وجه ويللا بعد هذا الاجتماع
يضطرم بحمرة الخجل الشديد • ومن ثم قال لها جون :
- ماذا حدث ؟ ماذا قالت لك أمي ؟

- لا شيء • لا شيء • • لقد ألقت على أسئلة كثيرة ، ثم تأملتني
طويلا •

- ان أمي عجوز ، وعقليتها عجوز مثلها
ثم دخل على أمه فرأها تبسّم في رضا ، وقالت له :
- انها فتاة صالحة يا جون • واني أتمنى أن أعيش لأرى
أولادك • ولكنني لن أستطيع • لقد تعلقت بحبال الحياة طويلا •
وأشعر الآن بالتعب
وفي تلك الليلة غابت عن وعيها • واستمرت الغيبوبة ثلاثة
أيام ، ماتت بعدها في سكون وهدوء وبدون أي احساس بالالم



ولم ينظر جون هوaitسيد الى البيت كما كان يفعل أبوه على
وجه التحديد • ولكنه كان يحبه أكثر • • كان يشعر أن البيت
هو غلاف جسمه الخارجى وكما يتمكن الفكر من الخروج من العقل
والتجوال في آفاق بعيدة ، كان هو يخرج من البيت وابتعد
ساعات أو أياما • • ثم يترد عائدا ارتداد الفكر للعقل • وراح
يعيد طلاءه الابيض مرة كل عامين ، وشرع يعنى بالحديقة
بنفسه ، ولكنه لم يحتل بين سكان الوادي نفس المكانة الكبيرة
التي كانت لأبيه • كان أقل من أبيه حزما ، وأقل ثقة في كل
شيء • ولكنه ورث عن أبيه المتبغ المصنوع من خشب الميرشموم
الفاخر الذى تحول الى اللون البنى القاتم المرقط بدوائر حمراء •

وأحببت ويللا الحياة فى الوادى منذ اللحظة الاولى . وبينما كانت أليشيا تحب العزلة وتنفر من الاختلاط ، كانت ويللا على العكس ، تميل الى الناس ، وتحب التعرف بهم ، ومن ثم راحت تتبادل مع زوجات المزارعين الآخرين الزيارات وكانت تحب الجلوس فى مطبخ كل منهن وتشرب الشاي الثقيل وتتحدث فى مختلف الشئون المنزلية . ولعل نشاطها الاجتماعى هذا كان السبب غير المباشر لما وصل اليه جون من مكانة فى مجتمع الوادى الاخضر . لقد فقد قوة نفوذ أبيه التى اكتسبها بالتعالى والترفع وشموخ الرأس . ولكنه اكتسب محبة الاهالى وتقديرهم بالاختلاط وحسن المعاشرة وتأدية الخدمات لكل محتاج ، وكان فى أمسيات الصيف الدافئة يجلس فى الشرفة ويستقبل بعض الاهالى الذين يفرغون من أعمالهم . وكانت المناقشات تدور حول الشئون السياسية والاجتماعية والمالية . وكان فى كل يوم أحد يدعو للغداء قسيس الوادى مع أسرة من أسر الجيران ، وكانت السيدات يساعدن ويللا فى اعداد الطعام بالمطبخ ، والرجال يجلسون فى الشرفة يتبادلون الحديث وتدخين المتابغ

أما مباحج جون الخاصة فكانت تتركز فى تلك الامسيات التى يجلس فيها مع زوجته بجوار المدفأة . النار تشيع الدفء فى البيت الكبير ، وتبغ الميرشوم فى فمه يدخنه ، أو يده ينظفه ، وكتاب خاص عن الزراعة والفلاحة وزوجته ويللا جالسة أمامه تلوى شفتيها وتعمل بابرتها فى قطعة تطريز

وفى أمسية كهذه ، أغلق جون كتابه ، ونهض وسار الى مكتبه ذى الغطاء المتحرك ، وهناك جلس أمام أوراقه . وقالت له ويللا :

- ماذا تفعل يا جون ؟

- أشغل نفسى بالكتابة

وبعد ساعة أو أكثر قليلا ، يستدير الى ويللا ويقول لها :

- اسمعى يا ويللا !

وقالت ويللا :

- كنت أتوقع هذا . قصيدة جديدة ؟!

- وتنصت ويللا الى القصيدة فى صمت ولباقة ٠٠ ويطول صمتها بعد أن يفرغ من القراءة ٠ وأخيرا يقول لها :

- انها لم تعجبك ؟

- لا ٠٠ ليست جيدة !

ويكمش الورقة ويلقى بها الى النار ثم يقول ضاحكا :

- ظننت برهة أنها ستعجبك

- ماذا كنت تقرأ يا جون ؟

- كنت أقرأ أشعارا لفرجيل ٠٠ وخطر ببالي أن فى مقدورى أن أنظم قصيدة ما ٠٠ والواقع أن كثرة قراءة الشعر تجعل الانسان متحمسا لنظم بعض الاشعار

وأعاد غطاء المكتب الى مكانه ، والتقط كتابا آخر من المكتبة

ورغم السعادة التى كانت تملأ قلب جون ، الا أنه لم يكف عن الرغبة فى أن يكون أبا ٠٠ لقد كانت نزعة الابوة فى أعماق نفسه لا تقل عما كانت فى قلب أبيه ٠ ولكن موضوع الانجاب كان يخرج الزوجين ، ولهذا لم يحاول اطالة الحديث فيه

وفى العام الثامن من زواجهما ، حملت ويللا ٠٠ ووضعت فى الموعد المحدد طفلا قويا جميلا

ولم تحمل ويللا بعد ذلك ٠ ولكنها كانت مع زوجها راضين كل الرضا عن هذا الابن الذى وهبه الله لهما ٠ وكان ظهور هذا الابن فى حياة جون دافعا لآن يزيد اهتمامه بالمرعة وبالحديقة بعد أن كان قد بدأ فى إهمالهما

ولم تتغير ويللا كما فعل زوجها ، وانما نظرت الى الطفل باعتباره شيئا عاديا فى حياتها ، وسمته بيل ، رفضت أن تعيده ٠ ولكن جون كان يرى فى ابنه صورة لأبيه

وكان دائما يسأل زوجته :

- ألا ترين أنه ذكى ؟ انك تقضين معه من الوقت أكثر منى ؟

ألا ترين أنه سيغدو عبقرى

وتهز ويللا كتفيها وتقول :

- انه طفل طبيعى

- يبدو لي أنه ينمو ببطء • اننى أريد أن يكبر بسرعة ليفهم كل شىء

ولما بلغ بيل العاشرة ، تناول جون مجلدات هيرودت ليبدأ فى قراءتها على ابنه • وجلس بيل على السجادة ينظر اليه فى ذهول ودهشة • وظل جون يقرأ لابنه بضع صفحات من الكتاب كل ليلة • وفى ذات ليلة رأى ويللا تضحك منه ، فقال لها :

- ماذا حدث ؟

- انظر الى ما تحت المقعد

ونظر الى أسفل حيث رأى بيل قد أقام بيتا من علب الثقباب الفارغة وكان مستغرقا فى عمله بحيث لم يشعر بأبيه حين توقف عن القراءة وقال جون :

ألم يكن ينصت الى !

- لم ينصت الى كلمة واحدة لانه لم يفهم كلمة واحدة • بعد أن قرأت له الاسطر الاولى

وأغلق جون المجلد وأعاده الى مكانه من المكتبة ، وأبى أن يتبين مدى ألمه النفسى ، ثم قال :

- لسوف ننتظر سنة أو سنتين ثم نحاول مرة أخرى

- انه لن يفهم شيئا من هذا • ولن يكون مثلك أو مثل أبيك

- اذن ما هى الاشياء التى سيهتم بها ؟

- الاشياء التى يهتم بها الاولاد مثله فى الوادى • مثل البنادق والحياد والابقار والكلاب ، لقد فر من يدك يا جون • • ولن تستطيع اللحاق به

- أخبرينى يا ويللا • • هل هو غبى ؟

- لا • • انه ليس غبيا • انه فى بعض النواحي أقوى منك احتمالا وأذكى عقلا • انه ليس على طرازك • ويحسن أن تعرف هذا من الآن

وشعر جون بحماسة للمزرعة تخف • ان المزرعة فى حالة جيدة ، وسوف يعنى بها بيل يوما ما • وكذلك البيت فى أمان • وقد أثبت بيل فى حالات كثيرة أنه ليس غبيا • بل لقد تبين أن له مقدرة خاصة فى الهندسة الميكانيكية ، اذ كان يصنع قطارات

صغيرة ، ومركبات ، وهدايا لأعياد الميلاد ، ويطالب أباه بشراء قطارات بخارية صغيرة . ولاحظ جون جانباً آخر من نفسية ابنه . كان بيل يقوم بأعمال لا ييبح بها لأحد ، كما كان بارعاً في الشئون المالية ، إذ كان يبيع مقتنياته للأولاد الآخرين ، فإذا سئموها منها ، استردها بأسعار منخفضة جداً . وكانت الهدايا المالية تتضاعف في يديه بوسائل خفية ، وقد حدث أن جون أهدها يوماً عجلاً . فباعه بيل واشترى عدداً من الخراف ، وبعد عام باعها بربح كبير !

وقد ضحك جون حين بلغه هذا الخبر وقال لويللا :
- انه أبرع منى بلا شك ، فقد حدث أن أهديني أبى عجباً فاحتفظت به حتى مات بالشيخوخة !



وعاد جون الى مقعده بجوار المدفأة ، والى متبغ الميرشوم الجميل ، والى كتبه التاريخية ودواوين الشعر وانتخب سكرتيراً لمجلس ادارة المدرسة وعاد المزارعون يجتمعون فى غرفته للحديث ، وخطط الشيب رأسه ، وازداد نفوذه بين سكان الوادى مع ازدياد سنه

ولما أقبل برت مونرو الى الوادى واستقر به المقام ، لم يلبث أن أدرك مكانة جون هوايتسيد ، فأخذ يزوره مع المزارعين ، وكانت مزرعته متاخمة لمزرعة جون . وازدادت أواصر الصداقة بينهما بصفة خاصة عندما تبين جون أن برت ، مثله ، يحب قراءة الكتب التاريخية ودواوين الشعر

وفى ذات مساء ، بعد انقضاء عام ونصف عام من استقرار عائلة مونرو فى الوادى ، تقدم بيل الى والديه الجالسين فى غرفة الجلوس وقال بصوت حازم :

- اننى سأتزوج

وكان يتحدث بلهجة الانسان الذى يحمل للغير أنباء غير سارة .
وصاح جون فى دهشة :

- لماذا لم تخبرنا من قبل ؟ من هى الفتاة ؟

- ماى مونرو

وتنهذ جون بارتياح وقال :

- هذه أنباء سارة جدا .. وانى لسعيد . انها فتاة طيبة .
اليس كذلك يا ويللا ؟

وأطرقت ويللا برأسها ، لانها كانت تعرف النبأ ، وكانت فى
زيارة آل مونرو فى ذلك الصباح . ولكنها قالت لابنها :

- ومتى سيتم الزواج ؟

- فى أقرب فرصة . بمجرد أن أنتهى من بناء بيتنا الصغير فى
مونتريرى

ونفض جون واقفا ، وتناول المتبغ الميرشوم من فوق رف المدفأة
وأشعله ثم قال :

- ولماذا لم تخبرنا أنك تبنى بيتا فى مونتريرى ؟

ولما لم يجب بيل ، أردف جون قائلا :

- هل ستذهب بعروسك للاقامة هناك ؟ ولماذا لا تقيم معنا
هنا .. هل فى هذا البيت ما يغضبك ؟
فرد بيل قائلا :

- لا .. ليس فى هذا البيت ما يغضبنى . ولكن الحياة فيه
لا تلائم ماى

فلما رفع والده حاجبيه متسائلا ، قال بيل :

- لقد نشأت ماى فى مونتريرى .. وكل صديقاتها هناك .
وهى لا تحب الاقامة هنا ، لانه ليس هنا ما تفعله
- آه .. فهمت

- ولهذا لما قالت انها تريد الحياة فى المدينة ، اشتريت نصف
وكالة لبيع سيارات فورد . وأنا دائما أحب هذا النوع من
الاعمال

وأوما جون برأسه وقد بدأ شعوره الاول بالغضب ينحسر عن
نفسه ثم قال :

- هل عرضت عليها الاقامة معنا هنا ؟

- انها تريد الاقامة فى المدينة حيث تعيش كل صديقاتها
حاولت ويللا أن تتدخل ، ولكن جون قال فى عزة وإباء :

- حسنا يا بيل .. اننى لن أرجوك أو أتوسل إليك . ولكن
.. هل لديك ما يكفى من المال ؟

- نعم يا أبى .. لدى الكثير منه . وأرجو أن ثقّل دعوتى لك
ولأسمى للاقامة معنا فى المدينة . ان البيت الذى أبنيه مكون من
طابقين ، وسوف نخصص لكما الطابق الاعلى بأكمله .
وابتسم جون فى حزن وقال :

- وماذا نفعل بهذا البيت اذا تركناه ؟
- يمكن أن نبيعه مع المزرعة بثمن ضخم .. اننى على استعداد
ليبيعهما فى خلال أسبوع

وتراخى جون فى مقعده . وقالت ويللا لبيل :
- لو كنت واثقة بأنك ستصرخ ، لانهلت عليك ضربا بالعصا
وأشعل جون متبغّه وقال :

- تأكد يا بيل أنك لن تمكث طويلا فى المدينة . لسوف تعود
الينا ان عاجلا أو آجلا

ثم راح يسحب الدخان من متبغّه العتيق الفاخر ويودف قائلا :
- لسوف ننتظر عودتك هنا ونحفظ لك البيت نظيفا جيد الطلاء
والحديقة مثمرة فى حالة طيبة . لسوف تعود يا بيل .. ولسوف
يلعب أولادك فى هذا البيت ويملئونه بالضجة والحياة .. سوف
ننتظر من أجل هذا وقد مات أبى وهو يحلم بالبيت مليئا بأطفال
من سلالته.

ثم ابتسم فى خجل واستطرد قائلا :
- كدت أنسى أحلام أبى فى هذا الشأن
وغمغمت ويللا قائلة :

- ليتنى أستطيع أن أضربك يا بيل بالعصا
وانصرف بيل من الغرفة فى ارتباك . وقال جون لزوجته بعد
انصرافه :

- لسوف يعود الينا حتما

- نعم .. نعم .. بلا شك .

ونظر اليها جون فى ارتياب وقال :

- هل تعتقدين هذا حقا يا ويللا ؟! أم أنك تواسيننى ! ان هذه
المواساة تجعلنى أشعر بأننى طعنت فى السن

- اننى واثقة بما أقول . وأنا كما تعرف لا أطلق الكلام جزافا

وتزوج بيل فى ذلك الصيف ، وسرعان ما انتقل بعد ذلك الى بيته الجديد فى مونتريرى . وفى الخريف بدأ جون يشعر بالقلق والملل كما كان العهد به قبل أن يولد بيل . ولكنه راح يطل البيت من جديد ، ويعنى بالحديقة أشد العناية

وقال ذات يوم لبرت مونرو :

- ان محصول الارض ليس كما ينبغي ، لقد أهملتها كثيرا ، وقد كان فى مقدورى أن أجعل محصولاتها تزداد عاما بعد عام

- نعم . . . ليس منا من يظفر من مزرعته بما ينبغي . وانى أتساءل لماذا لا تشتري قطيعا من الاغنام لتزعى العشب فى سفح التل الواقع وراء بيتك ؟

- كان أبى يفعل هذا . ولكننى كما قلت لك أهملت أرض التل . . . وأعتقد أن أعشاب الحلفاء قد تكاثرت بشدة فى هذه المنطقة

- اصرفها . اذا أحرقتها هذا الخريف ، فسوف تظفر بعشب أخضر فى الربيع

- هذه فكرة طيبة . اننى لو تركت الحلفاء وأمرها ، لتكاثرت حول بيتى . . . انها اقتربت منه كثيرا . وسوف أحتاج الى مساعدة بعض الرجال لاحراق هذه النباتات البرية

- سوف أساعدك أنا وجيمى . . . ابنى . وأن لديك رجلين من العمال . . . وبهذا نكون خمسة رجال بك . فاذا بدأنا عملية الاحراق فى الصباح عندما يكون الهواء راكدا . . . وبعد أن تمطر قليلا . . . يمكننا أن نقوم بالعمل

وأقبل الخريف . . . وتساقطت أوراق الشجر ، وبدأت الامطار تتساقط رذاذا . . . وفى ذات صباح مشرق بعد ليلة مطيرة ، أقبل برت مع ابنه جيمى وحيا جون هوايتسيد ثم قال :

- أعتقد أن اليوم مناسب لاحراق نبات الحلفاء . . . كان المطر أمس خفيفا وموافقا لمشروعنا

- حسنا جدا يا مستر مونرو . . . ولكن . . . ألا تفطران معى ؟

- شكرا . . . لقد تناولنا الافطار قبل أن نأتى

ومضى جون الى المخزن الكبير الواقع تحت البيت ، وكان بابہ يقع بجوار باب المطبخ الخلفى المواجه لسفح التلال . ومن المخزن

أحضر صفائح البترول ووزعها على الجميع • وكان العاملان فى
فى المزرعة قد وصلا للاشتراك فى العملية
وقال برت :

- الهواء راكد لحسن الحظ • وسوف نبدأ الاحراق من أسفل
الى أعلى أولاً حتى نبعد الخطر عن البيت
وأشعل جون النار فى النباتات البرى المغموس بالبترول ،
وأخذت النار فى أول الامر تسرى ببطء مع دخان كثيف ، ولكنها
لم تلبث أن راحت تتسابق فى التهام النباتات البرى الذى كان
ينوى ويتكسر قبل أن تصل اليه

وهبت رياح خفيفة على فجأة ، وتتطايرت بعض النباتات المشتعلة
نحو البيت • ولكن الرياح لم تلبث أن ركبت مرة أخرى كأنها
سئمت هذا العبث ، واندفع الرجال الخمسة يطئون بأقدامهم
الشرر المتناثر بينما كان جون يقول :

- من حسن حظنا أننا رأينا هذا • والا لاحترق البيت بسبب
شرارة حمقاء !

وعاد الرجال يؤدون عملهم عند سفح التل • وفجأة سـمـع
الجميع صيحة صادرة من داخل البيت • وكان البيت لا يكاد يرى
بسبب سحائب الدخان المتصاعدة من الحلفاء المحترقة • وأسرع
الرجال الخمسة نحو البيت وقد رأوا دخانا كثيفا يندفع من احدى
النوافذ العليا

وكانت ويللا تجرى نحوهم ، فلما أمسك بها جون صاحت
قائلة :

- لقد سمعت صوتا فى المخزن الارضى ، فلما فتحت بابه ،
رأيت النار والدخان يندفعان منه ، فانطلقت هاربة • والنار الآن
فى أنحاء البيت كله

وصاح برت قائلا :

- هل توجد خراطيم لاطفاء النار بجوار الخزان ؟
فهز جون رأسه وقال :
- لا أعتقد

- اذن هلم ننقذ ما يمكن انقاذه من متاع البيت

وهز جون رأسه وقال مرة أخرى بنفس الصوت :

- اننى لا أريد أن أنقذ منه شيئا

- أنك مجنون

واندفع برت مع ابنه والعاملين نحو البيت • ولكنهم لم يلبثوا أن تراجعوا حين رأوا ألسنة اللهب تتوهج فى جميع النوافذ والابواب

وقال برت :

- ان البيت مصنوع من أجود وأصلب أنواع الخشب • ولكن هذا النوع أصلح ما يكون غذاء للنار !

وجلس جون على كومة فى سفح التل • ونظرت ويللا الى وجهه ثم وقفت بجواره صامته •• وراح البيت يشتعل بزئير كزئير العاصفة ، ثم بدأت جوانبه الضخمة تتهاوى •• وظهرت غرفة الجلوس وكأنها لم تمس بالنار •• ولم تلبث ألسنة اللهب أن راحت تلفحها •• وشاهد جون كيف أخذت المقاعد الجلدية تنكمش فى ضوء اللهب وكأنها مخلوقات حية • وكان فى مقدوره أن يرى متبغ الميرشوم الكبير ملقى على الجدار فى موضعه •• ولكنه لم يلبث أن اختفى بين سحائب الدخان •• والنار • وانهار البيت كله فجأة تحت وطأة سقوط سقفه الأجر الذى كان مفخرة سكان الوداي

وعاد برت الى جون وقال فى ارتباك :

- لا شك أن شرارة تسللت الى المخزن عندما هبت الرياح المفاجئة ! ولعل الشرارة اندلعت فى الفحم البترولى الموجود بالمخزن

ورفت على شفتى جون ابتسامة شاحبة وقال :

- نعم •• لا شك أن الامر كما تقول

وأخذت النار تلتهم بهدوء ضحيتها بعد أن انتصرت عليها تماما • ووقف جون فى النهاية وشد قامته وألقى نظرة على رماد وبقايا البيت الذى ولد فيه وعاش ، ثم قال :

- لقد انتهى كل شيء • وأعتقد أننى الان أعرف شعور الروح عندما تفارق جسدا محترقا •• لنذهب الى بيتك يا برت ، وسوف

أتصل تليفونيا ببيل ليعد لنا الطابق الاعلى من بيته
- لماذا لا تبقى معنا يا جون ٠٠ ان بيتنا واسع ؟
- لا ٠٠ سنذهب الى بيل ٠٠ لقد أثبت أنه أبعد نظرا من
جده ٠٠

وابتسم فى مرارة وأردف قائلا كأنما يحدث نفسه :
- كان أبى يريد أن ينشئ أسرة عريقة كالاسرات المالكة ٠٠
تتوارث الحسب والنسب جيلا بعد جيل ٠٠ ولكن !
وأرسل ضحكة صغيرة ساخرة وأردف قائلا :
- ولكن ٠٠ ما أصغر الاشياء التى تتحطم عليها كبار الاحلام !!

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الابتسامة

تمت